الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

قصة الأدب في ليبيا العربية

من الفتح الإسلامي إلى اليوم

الجزء الثاني

الأدب الليبي الحديث

شعراً ونثراً

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا هو الجزء الثانى من كتابنا «قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى إلى اليوم» .

وأحمد الله على فضله وتوفيقه وعونه ، وأسأله السداد والصواب ، إنه أكرم مأمول ، وأجل مسئول .

ولا أجد شيئا أقدمه عرفانا للجميل ، وشكرانا للفضل ، الذى غمرنى به أبناء ليبيا العربية وشعبها الحبيب ، أثناء إقامتى فيها (١٩٦٣ — ١٩٦٦) أستاذا للأدب والنقد فى كلية اللغة العربية بالبيضاء ، إحدى كليات جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية ؛ إلا أن أهديهم هذا الكتاب ، وأقدم لهم ثمار هذا البحث .

ومن الله أستمد السداد فى القول والعمل ، وأسأله الخير فى الحقيقة والأمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وما توفيقى إلا بالله ؟

المؤلف

البَابُ الأوَّل

الفصل الأول

تمهيد

— ١ —

يبدأ الأدب الليبي الحديث وجوده بقيام الدعوة السنوسية فى ليبيا على يدى الإمام محمد بن على السنوسى ، المصلح الإسلامى الكبير ، والداعية إلى الله بروحه ولسانه وعقله وقلبه ، وبكل ما يملك من وسائل .

ويمثل لنا شخصية هذا المصلح الكبير حدث صغير حدث فى مقتبل شبابه . .

كان محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى الإدريسى ناشئا صغيرا يقيما ، وكان يتلقى العلم عن شيوخه ، وحدث ذات مرة أن وجده بعض الشيوخ جالسا فوق كثيب من الرمال تبدو عليه دلائل التفكير العميق ، فلما استوضحوه السبب فى ذلك ، كان جوابه : أنه إنما يفكر فى حال العالم الإسلامى ، فإنه لا يزال مفتقرا أشد الافتقار إلى مرشد حقيق يكون هدفه سوق العالم الإسلامى أجمع إلى غاية واحدة ، ونحو غرض واحد . . ويختم السيد محمد بن على حديثه بقوله : « هذا ما أفكر فيه » ، فلما سألوه : وماذا يجب على المسلمين عمله لتلافى ماذكرت ؟ أجاب : سأجتهد سأجتهد[1] .

شاب صغير يفكر فى عمل عظيم ، لا من أجل نفسه ، ولا من أجل أسرته أو عشيرته أو سلالته ، ولكن من أجل الإسلام ووحدة المسلمين .

---

(١) ٦٢ و ٦٣ السنوسية دين ودولة ـ محمد فؤاد شكرى ، ١٢ السنوسى الكبير للأشهب .

كان ذلك الشاب هو السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي، الذي ينتمي لآل البيت ، وينحدر من أولاد الحسن بن علي ، من أسرة عريقة ، هي سلالة ملوك الأدارسة الحسنيين ، الذين أسسوا في المغرب دولة الأدارسة (١٧٢ - ٣٧٥ هـ) ، وينتمون إلى إدريس الأكبر الحسني العلوي الذي هاجر من المدينة إلى المغرب عام ١٧٠ هـ[١] ، وأسس دولة الأدارسة في مدينة (وليلى) ، وبويع بالإمامة في الرابع من رمضان عام ١٧٢ هـ[٢] .

ثم بنى ابنه إدريس الثاني مدينة فاس عام ١٨٨ هـ[٣] ، واتخذها مقرا

---

(١) راجع كتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية ، للإمام الأكبر محمد بن علي السنوسي .

(٢) ٤١ المرجع السابق ط ١٩٦٠ القاهرة .

(٣) ٤١ و ٦٢ المرجع السابق ، وفي هذه السنة تولى إدريس الثاني الإمامة إذ كان قد بلغ سن الرشد ، فصعد المنبر وخطب الناس : الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، المبعوث إلى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آل بيته الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا - أيها الناس: أنا الذي قد وليت هذا الأمر ، الذي يضاعف للمحسنين فيه الأجر ، وللمسيئين الوزر . ونحن والحمد لله على قصد جميل ، فلا تمد الأعناق إلى غيرنا ، فإن الذي تطلبونه من الحق إنما تجدونه عندنا - ص ٦٤ الدرر السنية .

ولما بنى الإمام إدريس الثاني مدينة فاس خطب الناس فقال : اللهم إنك تعلم ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ، ولا سمعة ولا مكابرة ، وإنما أردت أن تعبد بها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . اللهم وفق سكانها إلى الخير ، وأعنهم واكفهم مؤونة أعدائهم ، وأدر عليهم الأرزاق ، واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق - ٧٥ المرجع السابق .

لإمامته ، وبنى فيها جامع القرويين عام ٢٤٥ هـ - ٨٥٩م الذى صار فيا بعد جامعة إسلامية كبيرة ، وإدريس الأكبر هو ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام على كرم الله وجهه ، وقد ظلت دولة الأدارسة تحكم فى فاس حتى قضى عليها الفاطميون ، بعد أن حكمت وقتا طويلا (١٧٢ — ٣٧٥ هـ)(١) ، وذلك بعد حروب طويلة قام بها الأمويون فى الأندلس والفاطميون فى المغرب .

والإمام السنوسى نسبة إلى سنوسى إحدى قبائل تلمسان بالجزائر ، وقد نزلت هناك بجبل يسمى جبل سنوسي ، فنسبت إليه . .

— ٢ —

ولد الإمام محمد بن على السنوسى فى ١٢ ربيع الأول ١٢٠٢ هـ - ٢٢ ديسمبر ١٧٨٧ م فى بلدة مستغانم بالجزائر (٢) ، فى بيت شريف ، وبجد

---

(١) هذا مايذكره مؤلف كتاب تاريخ الإسلام السياسى ، ولكن الإمام السنوسى يجعل تاريخ انقراضها عام ٣٦٤ هـ - ٨٥ و ٨٦ الدرر السنية - وراجع فى تاريخ دولة الأدارسة فى المغرب مجلة العرفان (٢٧٢ - ٢٧٧ من العدد الثالث المجلد ٥٢ ، جمادى الأولى ١٣٨٤ ، مقالا للسيد حسن الأمين .

(٢) تقع مستغانم غربى مدينة الجزائر بـ ٣٦٥ ك وشرقى مدينة وهران بنحو ٨٠ ك ، وهى على شاطىء البحر الأبيض ، وجوها معتدل ، ويمر بها واد صغير يسمى عين الصفرة ، وبالقرب منها نهر الشليف ، حيث يمر بشرقها وعدد سكانها حاليا نحو المائة ألف . وتشتهر بالزراعة ، وأهم المحصولات الزراعية التى تشتهر بها القمح والعنب والفواكه ، ويصاد السمك من شواطئها ، وقد أصبحت ميناء تجاريا ، ومن أشهر عائلاتها : العربى والسنوسى والأخيرة أصل الإمام الأكبر محمد بن على السنوسى الإدريسى . وبالمدينة معهد دينى أنشىء بعد الاستقلال وبها مدارس عديدة ، وبها زاوية ابن تكوك نسبة لعالم من أشهر =

باذخ ، ونشأ فى جو دينى وعلمى رفيع ؛ ولم يلبث أن توفى والده وهو فى الثانية من عمره ، فتولت عمته السيدة فاطمة تربيته وتنشئته ، وكانت من فضليات أهل زمانها ، متبحرة فى العلوم ، منقطعة للوعظ والتعليم ؛ وتلقى الإمام العلم على شيوخ بلدته ، ثم رحل إلى مازونة يطلب العلم فيها ، ثم خرج إلى فاس محط رحال العلماء فمكث فيها سبع سنين (١٨٢٢ – ١٨٢٩ م) ، ولم يلبث أن نال إجازته العلمية وحصل على المشيخة الكبرى وعين مدرسا بالجامع الكبير بفاس ، وظهر علمه وفضله وكثر محبوه والمترددون عليه ، ووجد الإمام من الحكومة حنقا عليه ، فرحل عام ١٢٤٥ هـ - ١٨٢٩ عن فاس إلى الصحراء ، وسمع بنزول المستعمرين الفرنسيين فى الجزائر ، فأراد أن يعود إليها ليدافع عن هذا الوطن الإسلامى الكبير ، ولكنه سرعان ماعدل عن ذلك لرؤيا رآها وعلم منها أن من الخير أن يستمر فى سيره صوب الشرق ، ودخل الإمام مدن ليبيا ، قابس وطرابلس وبنيغازى ، واستمر فى سيره إلى مصر ، وكانت تحت حكم محمد على ، وفى الأزهر ألقى رحاله ، واستمع إلى حلقات العلم ومجالس العلماء، ثم غادر القاهرة إلى الحجاز لينشد لقاء الأستاذ الكامل الذى يريد أن يتخذه رائداً روحيا . ومن هو هذا الأستاذ الكامل ، لم يكن الإمام يدرى حتى يومئذ من هو ، ومن يكون هذا الرائد العظيم ؛ ويذكر الإمام سبب خروجه من القاهرة فيقول إنه حدث ذات يوم عند فراغه من الوضوء أن اصطدم بفلاح فقير ، فقال الفلاح : ولماذا تصنع معى هكذا ياسنوسى ، فتعجب السيد الإمام أن يردد هذا الفلاح اسمه دون معرفته له ، فسأله : كيف عرفه وهو الذى لم يره قط فى حياته ، فأجاب الفلاح بكلام فهم منه أنه من أولياء الله الصالحين ، فلما

= علمائها هو أحمد بن تكوك ومن أحفاده الحاليين سيدى محمد العالم ، وزاوية العلويين ؛ ومن أشهر مساجدها المسجد الكبير بالطبانة ومسجد سيدى عبد القادر الجيلانى ومسجد سيدى عبد الله بن الخطاب ، وهو الجد الأعلى للشجرة السنوسية ومسجد سيدى ابن عيسى .

قال له السيد إنه يريد أن يتخذه له رائدا ، أجابه الرجل : كلا ، إن الذى تقصده موجود بمكة فعليك بالذهاب إليها (١) .

وفى مكة التقى الإمام السنوسى ضالته فى شخص السيد الإمام أبى العباس أحمد بن عبد الله بن إدريس الفاسى الذى ينتمى أيضا إلى ملوك الأدارسة ، وكان شيخا لطريقة صوفية تسمى الخضيرية ، فلزمه الإمام السنوسى، ورحل معه إلى صبيا بعسير ، وأقام حتى توفى السيد ابن إدريس عام ١٨٣٥ م ، فاتخذ أتباعه الإمام محمد بن على شيخا لهم ، ورجع الإمام إلى مكة ، فأنشأ بها زاوية فى جبل أبى قبيس عام ١٨٣٧ ، وأقام بها ، فكانت أولى زواياه التى نشر منها دعوته ، وأسس كذلك زاوية بالمدينة وعدة زوايا أخرى فى جدة والطائف وبدر وغيرها .

وعاد السيد إلى برقة عام ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م فنزل فى مصراته ثم طرابلس، وتوجه منها إلى قابس ثم عاد إلى طرابلس عام ١٢٥٧ هـ - ١٨٤١ م ، وفى شوال ١٢٥٨ هـ - ديسمبر ١٨٤٢ م نزل بموضع البيضاء ، وبنيت بموضعها الزاوية الأولى فى تاريخ الزوايا السنوسية فى برقة ، وكان بناء زاوية البيضاء بدء جهاد السنوسى الروحى والفكرى فى سبيل أداء رسالته الكبرى من أجل الإسلام والمسلمين عامة وليبيا والليبيين خاصة ، وفى نوفمبر ١٨٤٤ م - ١٢٦٠ هـ ولد للإمام السنوسى ابنه الأكبر الإمام محمد المهدى فى (ماسة) وأمه ابنة السيد أحمد بن فرج الله الفيتورى .

وفى عام ١٢٦٢ هـ - ١٨٤٦ م خرج السيد محمد بن على السنوسى إلى الحجاز

---

(١) ١٩ و ٢٠ السنوسية دين ودولة لمحمد فؤاد شكرى طبع القاهرة ١٩٤٨ ، وراجع كتاب السنوسى الكبير لمحمد الطيب الأشهب . وكتاب برقة العربية للأشهب ، وراجع ١ : ٣٠٦ - ٢٩٥ المنهل العذب ، وراجع فى تاريخ الامام ص ٢٨٩ و ٢٩٠ من كتاب أعلام ليبيا للزاوى .

وأقام به ثمانى سنوات فى العبادة والإرشاد ورعاية الزوايا السنوسية فيه[١]؛ وعاد بعد ذلك عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م إلى جغبوب وأنشأ زاوية الجغبوب وأمر مريديه بأن ينشئوا الزوايا فى كل مكان من أرض ليبيا ، وفى يوم الأربعاء اليوم التاسع من شهر صفر ١٢٧٧ هـ - ٧ سبتمبر ١٨٥٩ لبى الإمام محمد بن على السنوسى نداء مولاه ، وفاضت روحه الطاهرة ، ودفن فى الجغبوب ، فشيعه الإخوان السنوسيون بأحر العبرات والحزن ، ورثوه بالمراثى البليغة ، وبعد وفاته خطب عمران بن بركة (١٣١٠ هـ) الناس على المنبر بعد صلاة الظهر من يوم الخميس ، وأخذ الناس يقرأون القرآن على جدثه الطاهر أربعين يوما ، وبنى فى الموضع الذى دفن فيه قبة صغيرة ، وفى عام ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م جدد بناء ضريحه فى أعظم فن ومظهر .

وكان فى مقدمة الإخوان السنوسيين الذين آزروه : عبد الله السنى (١٨٧٧) ، وأحمد التواتى ، وعبدالله التواتى ، وفالح الظاهرى الحجازى .

ورثاه عبد الرحيم المحبوب البرقى (١٣٠٥هـ) المدرس بزاوية الجغبوب بقصيدة جاء فيها[٢] :

مابال عينك لابالدمع تكتحل	ودمعها لايزال اليوم ينهمل
كأنما سملت بالشوك أو كحلت	من الغضا بشواظ كاد يشتعل
والوجه أسفع والأعضاء ناحلة	والقلب فى شرك الأحزان مختبل

وترك الإمام عدة مؤلفات منها : الدرر السنية ، والمسائل العشر وقد ألفه فى الحجاز عام ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م ، وإيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث

---

(١) راجع تاريخ السنوسية فى الجزء الثالث ص ١٤٥ وما بعدها من كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان .

(٢) ١٣١ - ١٣٣ السنوسى الكبير للأشهب .

والقرآن ، وغيرها ؛ وقد انتشرت الزوايا السنوسية فى حياة الإمام فى الحجاز ومصر وليبيا والسودان وأواسط افريقيا وتشاد ، والنيجر ، ونيجيريا ، وكذلك فى الجزائر ؛ ومن الجغبوب التى اختارها الإمام محمد ابن على مقرا لتوجيه النشاط الإسلامى ودعوة السنوسية الإصلاحية انتشر الدعاة فى كل مكان ، وحملوا رسالة الإسلام إلى كل جهة ، وعنى السنوسيون بالعلوم الإسلامية عنايتهم بتعلم فنون القتال وأساليب الحرب ؛ وكان الإمام الأكبر محمد بن على السنوسى يدعو إلى فتح باب الاجتهاد ، ولما وافاه الأجل المحتوم كانت السنوسية قد استقرت فى برقة وطرابلس ووادای والسودان وأماكن كثيرة ، وكان يدعو إلى أن يتخذوا من حياة الرسول الأعظم - صلوات الله عليه - مثلا أعلى لهم يحتذونه ، كما كان يدعو إلى تنقية الإسلام مما علق به من بدع ومنكرات ، وإلى وحدة المسلمين وارتباطهم الوثيق فى ظلال الدين وتعاليمه السمحة الكريمة . وإلى نشر الزوايا التى اهتم بها الإخوان السنوسيون .. وقامت الدعوة السنوسية على الإرشاد والتهذيب وعلى العلم والمعرفة ، وعلى أخوة المسلمين وتعاطفهم ، والزاوية كما قال عنها الإمام الأكبر فى خطاب بعث به إلى حاكم فزان العثمانى « هى بيت من بيوت الله ، ومسجد من مساجده ، إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة ، وتعمر بها البلاد ، ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة والبادية ، لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن ، ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان » ، وكتب لحاكم طرابلس التركى يحدثه عن الزاوية « . نريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة ، ونفوس سكانها مستقرة ، ليحصل منها المقصود ، ويدوم من تعلم العلم وتعليمه وإقراء القرآن وتفهمه وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها . . وكانت زاوية البيضاء مركزا ضخما للدعوة ، ومعهدا علميا تخرج منه العلماء والأدباء والمرشدون ، وفى آخر حياة الإمام صارت الجغبوب (١) مركزا رئيسيا

---

(١) كان من أسباب نقل القيادة الروحية إلى الجغبوب : بعدها عن نفوذ =

لجميع الزوايا السنوسية وذلك من عام ١٢٧٣ ﻫ حتى عام ١٣١٢ ﻫ ، ثم انتقلت فى العام الأخير القيادة الروحية إلى زاوية « الكفرة » بانتقال الإمام المهدى الكبير إليها .

وقد تحدث عن الجغبوب شعراء الإخوان السنوسيين فى شعرهم ، ومنهم

= العثمانيين وعملاء الاستعمار ، وجعل تنظيمات الدعوة السنوسية سرا على الكائدين للإسلام والحاقدين على قيام حركة إسلامية إصلاحية كبيرة كالسنوسية ، والتمهيد لنشر الإسلام والدعوة السنوسية بين أهالى أواسط إفريقيا .. وتقع الجغبوب على بعد ١٥٠ ك م من واحة سيوة ، و ٢٩٥ ك م من طبرق ، وهى ملتقى لطرق القوافل فى الصحراء ، وقد أرسل الامام الأكبر إلى الشيخ يونس بن شعيب العجابى رسالة يقول له فيها : « ولا يخفاكم أننا أرسلنا جماعة من الإخوان إلى ناحية « الجغابيب » بقصد عمارة الزاوية فيها ، والرجاء منكم أن تعملوا بهمة فى الأمر الذى اتفقنا وإياكم عليه ، من المساعدة ، لأن نفعها عائد إليكم خصوصا ، وللناس عموما ، والدال على الخير كفاعله ، وفاعله فى الجنة ... » وكان تأسيس الامام لزاوية الجغبوب عام ١٢٧٣ ﻫ ، وقد بدىء فى بنائها فى أوائل ذى القعدة ١٢٧١ ﻫ ، والزاوية تشمل مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم ، ومدرسة لتلقى علوم الدين والعربية فيها ، واختيرت الجغبوب مركزا رئيسيا للدعوة منذ تأسيسها ، وأقام فيها كبار الاخوان ، وبها المعهد العلمى الدينى يلتحق به المتخرجون من كتاتيب الزوايا الأخرى ومكتبة تضم آلاف الكتب الاسلامية ، ويوجد فى الجغبوب مسجد الامام السنوسى الذى أقامه الامام صرحا إسلاميا رائعا وفى الجغبوب قبر الامام والقسم العام والمدرسة القرآنية التابعان للجامعة الاسلامية ، وقد أحرق الايطاليون مكتبة الامام الضخمة التى كانت فى الجغبوب ، ولم ينج منها إلا بقايا قليلة من المخطوطات الاسلامية هى اليوم نواة مكتبة الجامعة الاسلامية فى البيضاء ، ومنذ عام أنشات جامعة السيد محمد بن على السنوسى فى جغبوب أقساما للدراسات العليا وزودتها بأفاضل العلماء من الأزهر الشريف ، وبمكتبة كبيرة .

أبو سيف مقرب ، ومحمد عبد الله السنى ، وعبد الرحيم المحبوب وغيرهم(١) ، وقد وصف هؤلاء الشعراء كذلك الإخوان السنوسيين ومبادئهم وصفا دقيقا (٢) .

وخرجت الجغبوب طبقة ممتازة من القراء والعلماء والشعراء والكتاب(٣) وقد ذكر الأشهب أسماء الأعلام الذين قاموا بإلقاء الدروس فى المعهد الجغبوبى تحت إشراف الإمام محمد بن على السنوسى(٤) .

ويقول الشاعر المصرى أحمد خيرى فى الحديث عن الإمام والجغبوب(٥):

فرح الزمان بأنس بهجة عبده	وشباب رونقه وناضر غيده
وأنيق زخرفه وريق صفوه	وبديع جوهره ودر فريده
والعين ينشر فى الغياض بهاؤها	حسنا يتيه على الرياض بزيده
والطير بين الدوح يمرح شاديا	نغما تسر الأذن من تغريده
فاقصد حمى سكن السلام رحابه	والزم حثيث الخطو دون وئيده
وارتع ثم الأمن ظلاله الهدى	والخير يهمى من يدى صنديده
وامتع بجغبوب المباركة التى	وصلت قديم فخارها بجديده
صحراء من رمل الفيافى جاءها	بحر فأخصب جدبها بمديده
ملأ المفاوز حكمة لمعت بها	لمع المذرب من شحيذ حديده

---

(١) ٥٤ و ٥٥ السنوسى الكبير للأشهب .

(٢) ٥٦ و ٥٧ المرجع .

(٣) ٤٨ المرجع .

(٤) ٥٠ المرجع ، وراجع أعلام الاخوان السنوسيين فى كتاب السنوسى الكبير الأشهب (ص ٥٨ - ٦٩) .

(٥) العدد الثانى من السنة الثالثة من مجلة الهدى الاسلامى الصادر فى رجب ١٣٨٣ هـ — ص ٩٢ و ٩٣

خاف الإله فعاف أسباب الهوى ... متنسكا عن خوده وخريده
فهو السنوسى الولى مطبل من ... شرف الورى من جوده بعديده
نزل الكتاب على أبيه كرامة ... يعظ الأنام بوعده ووعيده
جغبوب فيه طهارة ووضاءة ... وبه اليقين أناخ عزم وطيده
بلد إذا ماجئته تجد الهدى ... متجمعا فى سهله وكديده
قد زرته فوجدت فيه نطارة ... فاتت سماحتها جمال نديده
وذكرت طيبة حين شمت تلاله ... ولطيف هدأنه وطيب صعيده
والصيف أدبر والنخيل يؤدوها ... تمر يروع العين رصف نضيده
والماء عذب كالفرات يزيده ... سوغا صنيع القوم فى تبريده
ونصوع مسجده بتقوى أهله ... قد فاق أبيض جصه أو شيده
قامت تجاوره فتزهو قبة ... علم على شيخ التقى ووليده
من تحتها تبدو روائح جنة ... وعد الإله بها خيار عبيده
فيها السنوسى الفصيح بوعظه ... وعلومه وجهاده وحميده
وبجانب منها ترى قبر الرضا ... من فاز من سر الحجا بسديده
ملأ أفاض عليهم نعماءه ... ربى وفضلا خصصوا بمزيده
سحت غوادق رحمة تسقى ثرى ... جغبوب واخضرت أصول جريده
وسقى إلهى بالغوادى تربة ... سعدت بفضال الندى ووحيده
ترك المدائن والرفاهة وانتحى ... قفرا وشظف العيش دون رغيده
فالقفر ليس به سوى حربائه ... أو ضبه أو صله أو سيده
مازال ينشر عليه ظلال من ... رب البرايا النور من تأييده
حتى استطارت فى المهامه نهضة ... حفظت تراث الدين من تبديده

ويقول حسيب على حسيب فى النسب السنوسى :

بيد أن الكرام آل السنوسى ... نبهوا الشرق فاستفاق رهيبا
علم الناس أنهم أول النا ... س جهادا وما عرفنا ضريبا

وقد نظم عقد النسب السنوسى السيد عبد الرحيم بن أحمد المحبوب(١) . ونظمه كذلك السيد أحمد بن إدريس الأشهب(٢) ، وهما من الإخوان السنوسيين(٣) .

وكان الإمام محمد بن على السنوسى روحا مشتعلة ، ونشاطا دائما ؛ وإخلاصا وتفانيا لله تعالى ، وحبا عميقا للإسلام ولمجد المسلمين ، وكان يبث فى دعاته من روحه ، ويوجههم إلى كل صالح ومفيد من القول والعمل ، فكانت رسائله مثالا حيا لروح الإسلام وتعاليمه وآدابه .

ومن رسالة بعث بها الإمام محمد بن على السنوسى إلى أهل (واجنجه) فى وادای : « أسألكم باسم الإسلام أن تطيعوا الله ورسوله ، فقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، ويقول : ومن يطع الرسول فقد أطاع الله. ويقول : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

أسألكم بأن تطيعوا أوامر الله ورسوله ، فتؤتوا الصلوات الخمس ، وتصوموا رمضان ، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وتجتنبوا مانهى الله عنه من قول الكذب والغيبة وابتزاز أموال الناس وشرب الخمر وشهادة الزور ، وغير ذلك مما أمر الله باجتنابه .

---

(١) راجع ص ١٢٢ - ١٢٤ السنوسى الكبير الأشهب ، وراجع فى التعريف بالشاعر ص ٦٤ المرجع نفسه ، وهو من الاخوان السنوسيين .

(٢) ١٢٤ و ١٢٥ المرجع .

(٣) راجع ٥٦ - ٧٠ المرجع .

فإذا فعلتم ما أمر الله به، ورجعتم عما نهى عنه، أسبل الله عليكم نعمته الأبدية، ومنحكم الخير والرزق الدائمين(١) » .

وكتب الإمام محمد بن على السنوسى رسالة توجيهية يلاحقهم بها فى الآفاق وهذه سنة ١٢٦٤ هـ حيث بعث بها إلى خليفته بزاوية المدينة المنورة الشيخ محمد بن الشفيع، وجاء فيها : « إنه من عبد ربه سبحانه (محمد بن على السنوسى) الخطابى الحسنى الإدريسى إلى ولده الأبر وخلاصة وده الأنور ولدنا الشيخ (محمد بن الشفيع) لازلتم محفوظين ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته ومرضاته .

أما بعد : فالموجب لتسطيره والباعث على رقمه وتحريره، السؤال عنكم وعن كلية أحوالكم، أجراها الله على كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإعلامكم أننا بعثنا لكم كتبا سابقا مع الركب عساها وصلتكم وأنتم على أسر حال وأكمل نعمة وأتم منوال . وأخبرناكم فيها بما نحن عليه من الصحة والسلامة .

وإنه لم يكن عندنا من المخالفات شىء . ونحن الآن وجميع الإخوان كذلك، غير أننا منتظرون أخباركم وما يسفر لنا عن أحوالكم نرجو الله تعالى أن يسمعنا عنكم ما تقر به العين .

هذا والمؤكد عليكم وأفضل صلة واصلة إليكم ماحث به الحق سبحانه وتعالى وعمم وأمر به الأمم فقال جل من قائل : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله »، فعليكم بتقوى الله العظيم باتباع أوامره واجتناب نواهيه والاكثار من ذكره والصلاة والسلام على نبيه

---

(١) صحراء ليبيا لأحمد حسنين باشا، وراجع الرسالة كاملة فى ص ١٥٨ — ١٦٠ السنوسى الكبير الأشهب .

محمد صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار ليستزيد بذلك القلب وينور الباطن والظاهر .

وعليكم بمراقبة الحق سبحانه وتعالى فى جميع الأحوال فى الحركات والسكنات ماظهر منها وما بطن وابذلوا جهدكم ونفوا على ساق الجد والاجتهاد لنيل أسنى المراد، وكونوا على المنهاج القويم والصراط المستقيم ، وحسنوا أخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير والصغير قال تعالى « وقولوا للناس حسنا » ، وقال جل وعلا : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ارفقوا ، فإن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه ، وإن الحمق ما كان فى شىء إلا شانه » . وارفعوا همتكم عن الخلق . قال صلى الله عليه وسلم : « ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

وعليكم بالمناصحة والمذاكرة وإرشاد عباد الله إليه والمدارسة والاجتماع والتحابب والتوادد فيما بينكم ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا وعلى البر أعوانا ، فبذلك تنالون الفوز الأبدى والربح السرمدى الذى لا يعتريه خسران، ولا يحوم حول حماه حرمان، والله يجعلكم أئمة اقتداء ونجوم اهتداء ويفتح بكم أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا وألسنة بكما ، ويمن عليكم برضاه الأكبر الذى لا سخط بعده .

وبلغوا سلامنا إلى كافة الإخوان والمحبين والله يلحظ الجميع بولايته وينظر إليهم بعين عنايته . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله » ، والرسالة بتاريخ ١٢ خلت من ربيع الأول سنة ١٢٦٤ هـ .

وللإمام الأكبر شعر ، منه هاتان القطعتان(١) :

---

(١) راجع صـ ١٨١ برقة العربية للأشهب .

١ — الدنيا ـ شعر للإمام محمد بن على السنوسى :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة	إذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال إلا فجائع	علينا ولا اللذات إلا المعاطب
وما لذة الأولاد والمال والمنى	لدينا ولا الأموال إلا المصائب
فلا تكتحل عيناك يوما بعبرة	على ذاهب منها فإنك ذاهب

٢ — المصير ـ شعر للإمام السنوسى :

هب انى علمت الكيمياء ونلتها	وأنقيتها صبغا وأتقنتها صنعا
ولخصت تيسير الكواكب كلها	ببحثى وتدقيق ونلت بها مسعى
وملكت أموال البرايا بأسرها	وجالت يدى من أصفهان إلى صنعا
أليس مصيرى بعد ذلك كله	إلى تحت هذا الترب فى حالة شنعا
فقل الذى يمسى ، يصبح همه	بغير رضا الرحمن: ياخيبة المسعى

ويروى عن الإمام محمد بن على السنوسى قوله : إن الخلافة قد غصبها الأتراك العثمانيون ، لأنها لاتخرج عن قريش(١) .

---

(١) ٣٧ قضية ليبيا ـ محمود الشنيطى .

أعلام الأدباء فى عهد الإمام الأكبر

ظهر فى عصر الإمام الأكبر محمد بن على السنوسى شعراء كثيرون ، شهدوا الدعوة السنوسية ومفاخرها ومآثرها الإسلامية، وأشادوا بصاحب الدعوة ، وبرسالته الإصلاحية .

فابن شتوان يتصل بالإمام(١) ويمدحه ، كما اتصل به ومدحه الكثيرون .

ومن الأدباء المشهورين فى عهد الإمام محمد بن على السنوسى : السيد فالح الظاهرى ، والسيد أبو سيف مقرب ، والسيد عبد الله السنى ، والسيد أحمد الطائفى ، والسيد محمد بن صادق ، والسيد على عبد الحق القوصى ، والسيد أحمد بن حسن وفا ، والسيد عمران بركة ، والسيد على الليثى شاعر الحضرة الخديوية ، والسيد أبو القاسم العيساوى ، والسيد محمد عبد المتعال ، والسيد عبد الرحيم المغبوب ، وغيرهم (٢) ؛ وسوف نعرض لأهم الأدباء والشعراء هنا عرضا سريعا موجزا . .

عبد الرحيم المغبوب البرقى

من تلامذة الإمام وكان وثيق الصلة به منذ ١٨٤٢ بعد عودته من تونس وإقامته فى بنيغازى موطنه فى شهر رمضان ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢) يلقى فيها دروسه ، ثم تبع الإمام فى جميع تنقلاته فى برقة ومصر والحجاز ؛ وهو من شعراء الحركة السنوسية ، اتصل بالإمام السنوسى عام ١٢٥٨ هـ ، فأوفده فى مهمة إلى الآستانة ، وتولى التدريس بزاوية الجغبوب ، وكان علامة أديبا

---

(١) راجع ٥١ أعلام ليبيا .
(٢) ٥٧٢ برقة العربية .

فاضلا ، وشاعرا ممتازا ؛ ومن تلاميذه الشيخ فالح الظاهرى الحجازى الذى ترجم لأستاذه فى كتابه « حسن الوفا لإخوان الصفا » .

ولما توفى الإمام الأكبر السنوسى رثاه بقصيدة جاء فيها :

مابال عينك لابالدمع تكتحل	ودمعها لايزال اليوم ينهمل
كأنما سملت بالشوك أو كحلت	من الغضا بشواظ كلا يشتعل
والوجه أسفع والأعضاء ناحلة	والقلب فى شرك الأحزان مختبل

وهى طويلة . وتوفى الشاعر عام ١٣٠٥ هـ (١) .

عمران بن بركة

(١٢١١ — ١٣١٠ هـ)

وهو شريف حسنى علامة شهر بالصلاح والفضل .

اجتمع بالإمام السنوسى عام ١٢٣٨ هـ حينما مر بطرابلس ، ثم استدعاه الإمام إلى برقة عام ١٢٥٧ هـ ، فلحق به بالزاوية البيضاء ، وتولى التدريس فيها ، وفى زاوية الجغبوب .

تتلمذ عليه السيد المهدى السنوسى ، وأخوه السيد الشريف ؛ وفالح الظاهرى، ومحمد بن سيف بن مقرب ، وغيرهم من كبار الإخوان السنوسيين .

وكان موضع ثقة الإمام وإخوانه ، وهو جد السيد أحمد الشريف لأمه، وتوفى فى الجغبوب عام ١٣١٠ هـ (٢) .

---

(١) ١٦٨ أعلام ليبيا ، ١٣١ - ١٣٣ السنوسى الكبير للأشهب ، وراجع عنه ٤٨ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى .

(٢) ٢٣٩ أعلام ليبيا .

مقرب أبو سيف

(١٣١٥ هـ : ١٨٩٦ م)

عالم فاضل من أجل علماء الإخوان السنوسيين وأدبائهم ، درس على الإمام السنوسى بزاوية البيضاء والجغبوب ، وتولى التدريس فى الجغبوب ، وانتفع به خلق كثير ، وكان يلقب شاعر الحضرة السنوسية .

ومن شعره فى وداع السيد المهدى السنوسى (١٢٦٠ - ١٣٢٠ هـ) لما سافر من الجغبوب إلى الكفرة فى شوال عام ١٣١٢ هـ :

همو هيجوا يوم النوى برح أشجانى
وهادبهم لما ترنم أشجانى
وهم سلبوا لبى وألبس بينهم
رداء الردى جسمى وأثواب أحزانى
وهم غادروا جسمى لقى بعد مهجة
جرى ذوبها من بحر مدمعى القانى
فو الله لا أنسى عشية ودعوا
فأودعتهم صبرى وودعت سلوانى
وضاعف أحزانى مواقف جمة
وبرح بى فقدان صحبى وأخدانى

وهى طويلة فى ثلاثة وثلاثين بيتا ، يظهر فيها أسفه لفراق أستاذه السيد المهدى السنوسى (١) .

---

(١) ٣٤٥و٣٤٦ أعلام ليبيا ، وراجع بعضا منها فى صـ ٥٤ السنوسى الكبير للأشهب ، ٤٩ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى .

وهى كما ذكرنا فى وداع الإمام المهدى ، وقد تحول من الجغبوب إلى الكفرة [١] . وله كذلك قصيدة قالها بمناسبة إنشاء زاوية التاج (الكفرة) على يدى الإمام السيد المهدى وذلك عام ١٣١٣ هـ [٢] .

ويقول فيها يمدح الإمام المهدى ، متحدثا عن البدو وأثر الدعوة السنوسية فيهم [٣] :

فكم من حريم قد أباحوا ، وأحجفوا
بمال غنى لايخافون هاديا

فارشدهم الرشد من حل بينهم   فلا زال مهديا ولا زال هاديا
وكم بدوى فى الفلاة بنوقه   يبول على الأعقاب أشعث حافيا
وتلقاه فى مهد الضلالة هاويا   فأصبح نجما فى الهداية عاليا
وكم من جهول أسود اللون خلقه   كساه لباس العلم أبيض صافيا

ولأبى سيف قصيدة يهنىء فيها الإمام المهدى بمولد الإدريس (١٣٠٧ : ١٨٩٠) ، ومنها :

هنئت بالكوكب الدرى إذ سطعا
وأرج الأفق والأرجاء وارتفعا

وغصت للدر بحرا لجه عظما   وصغت للفظ نظما حسنه جمعا
شنفت أسماعنا ياخير مبتكر   للشعر بلغك الله المنا جمعا [٤]

---

(١) ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ برقة العربية للأشهب .

(٢) ٤٠ السنوسى الكبير - وبهذه المناسبة فان الزوايا فى عهد الامام الأكبر بلغت ٥٢ زاوية ، وأنشأ الأمام المهدى ٥٥ زاوية أخرى (٣٤ - ٤١ السنوسى الكبير) .

(٣) ٥٠ السنوسية دين ودولة محمد فؤاد شكرى - ١٩٤٨ القاهرة ، ٥٨٠ - ٥٨٢ برقة العربية للأشهب ، ٢٠ و ٥١ السنوسى الكبير للأشهب .

(٤) راجع القصيدة فى ٣٥١ برقة العربية للأشهب .

ويقول أبو سيف يرثى السيد محمد الشريف السنوسى عام ١٣١٣ هـ :

سرنا بنعشك خضع الأعناق	سيرا دون العدو والإعناق
ياخير محمول لأعلى جنة	ولحورها يلقينه بعناق
لوكان يفدى الميت بادر كلنا	نفديك بالآجال والأرزاق
شرفت ياجغبوب حقا بالذى	أعلى منارك فى الزمان الباقى
ردت إليك وجوه آمال الورى	عطشى لورد نوالك الدفاق[1]

وعندما مات السيد محمد بن عبد الله التوانى أحد الإخوان السنوسيين رثاه بقصيدة طويلة [2]، وكذلك رثى السيد عمران بن بركة الفيتورى بقصيدة طويلة عندما توفى عام ١٣١٠ هـ [3]. . ويذكر الطيب الأشهب أن أباسيف توفى عام ١٣١٤ هـ [4] لاعام ١٣١٥ هـ .

وكان السيد أبو سيف مقرب من العلماء المحققين ، ومن خيرة رجال السنوسية ، درس فى البيضاء وجغبوب ، فكان فى طليعة العلماء ، ومن أبرز الشعراء ، وكبار رجال الإخوان ، ولقب بشاعر الحضرة السنوسية ، توفى عام ١٣١٥ هـ ، وصلى عليه الإمام المهدى السنوسى[5] .

---

(١) راجع القصيدة كلها فى ٢٢٤ و ٢٢٥ برقة العربية للأشهب .
(٢) ٥٩ السنوسى الكبير للأشهب .
(٣) ٦٠ المرجع .
(٤) ٦٨ المرجع .
(٥) راجع كتاب برقة العربية الأشهب .

فالح الظاهرى

كان علامة جليل القدر ، التحق بالسيد محمد بن على السنوسى نحو عام ١٨٤٣ وتتلمذ عليه ، وتولى التدريس فى الجغبوب ، وكان شاعرا مجيدا ، ومن الأدباء المعروفين ، كما كان موضع احترام السيد المهدى بعد والده الامام السنوسى ، ومحل تقدير جميع رجال السنوسية ، وسافر إلى الحجاز والآستانة ثم عاد إلى الحجاز إلى أن أدركه الموت عام ١٣٢٨ هـ ، وله شعر كثير ، وبعض المؤلفات (١) ، وكان فى كل حدث من أحداث السنوسيين يقول الشعر ، مات السيد محمد بن عبد الله التوانى من أعلام الإخوان السنوسيين فرثاه فالح بقصيدة مطلعها :

على مثل من أوقاته حلية الدهر بصالح أعمال دموعك فلتجرى (٢)

وله شعر كثير (٣) . وكان من أبرز العلماء علما وطلاقة وسعة فهم ، وفى طليعة المدرسين بالمعهد الجغبوبى ، وقام بزيارة الآستانة مندوبا عن الإمام الأكبر ، كما زارها فى عهد السلطان عبد الحميد ، ثم زار الهند (٤) ، وتوفى بالحجاز عام ١٣٢٧ هـ (٤) .

وفى مولد الادريس (١٠ من رجب ١٣٠٧ - ١٨٩٠) نظم الشاعر فالح الظاهرى قصيدة ، طويلة مهنئا ؟ جاء فيها :

لاح فى أفق بنى الزهرا كوكب الأفراح والبشرى

(١) ١٥٠ برقة العربية الأشهب .

(٢) المرجع ص ١٤٢ و ١٤٣ ، و ٥٩ السنوسى الكبير للأشهب .

(٣) ٥٧٧ و ٥٧٨ برقة العربية ، ٦٢ - ٦٤ السنوسى الكبير الأشهب .

(٤) ٦١ و ٦٢ السنوسى الكبير الأشهب .

إن للدهر لدى يدا ليس إقرارى بها سرا
بغلام البين كان له منكم طول البقا ذخرا
وبلغتم فيه بغيتكم فى ظلال عيشة خضرا
ودواعى البشر لابرحت تنتحى ناديكم الدهرا[1]

والشيخ فالح الظاهرى هو الذى كتب مقدمة كتاب « المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب » تأليف تلميذه أحمد النائب الأنصارى [2] ، وفى هذه المقدمة يتجلى لنا أسلوب الشيخ فالح الظاهرى ، الذى هو أسلوب النثر الفنى فى عصره ، المملوء بالسجع . . وفى هذه المقدمة يذكر لنا الشيخ فالح أنه اجتمع بالإمام محمد بن على السنوسى فى المدينة المنورة عام ١٢٦٨ هـ ولازمه ، ورحل معه إلى ليبيا عام ١٢٧١ هـ ، وأنه كان مقربا إلى الإمام .

ومعظم شعر فالح قد ضاع شأنه فى ذلك شأن سواه من آثار هذه المرحلة وما بقى منه يدل على شاعرية أصيلة صادقة وقدرة على الصياغة الشعرية العربية الجزلة [3] . ومن قصيدة له فى الحنين بعث بها من الحجاز :

سرى طيفكم ليلا فاتاه فى المسرى على بعد ما بين (الجغابيب) والحمرا
عجبت له أنى اهتدى لى وبيننا مهامه يثنبو الوهم عن جعلها مسرى
أأحبابنا والله ما غير النوى ودادى ولا أخلت بلادى لكم ذكرا
أهش لريح الجربياء إذا سرت وإن أضرمت فى القلب من ناركم جمرا

---

(١) راجع القصيدة فى ٣٥٠ و ٣٥١ برقة العربية .
(٢) ص ٥ - ٧ المنهل العذب نشر مكتبة الفرجانى .
(٣) راجع ٤٤ الحياة الأدبية فى ليبيا ـ الحاجرى .

محمد السني

السيد محمد عبد الله السني هو من سنار بالسودان ، تتلمذ على الإمام أحمد ابن إدريس ، وتعرف بالإمام الأكبر محمد بن على السنوسى والتحق بالسنوسية عام ١٢٤٩ هـ ، وعهد إليه بالتدريس ، ثم ولاه مشيخة زاوية مزدة ، وبها توفى[١] ، وله قصيدة فى وصف الجغبوب[٢] ، وفى قصيدة أخرى يصف الإخوان السنوسيين ودعوتهم[٣] .

وله قصيدة عصماء مدح بها الإمام المهدى[٤] ، ومن قصيدة أخرى له فى مدح الإمام المهدى[٥] :

إمام الهدى نافى الردى قاهر العدى
فديتك جل قد أضر بنا الجهل
تجد من بنى الإسلام أخلص عصبة
جحاجيح أبطال إذا جادلوا جلوا

ليوث إذا ما أحجم القوم أقدموا	تجل على الأعداء من بأسهم نكل
هم القوم إن قالوا فتق بمقالهم	إذا سمحوا سحوا ، وإن فاللوا فلوا
وإن عطفوا بعد القراع إلى الحمى	رأيت وجوه القوم بالبشر تنهل
بهم أصبح الدين الحنيفى راضيا	وأضحت قباب المجد محكمة تعلو

---

(١) ٦١ السنوسى الكبير للأشهب ، وراجع عنه ٥٥ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى .

(٢) ٥٤ السنوسى الكبير .

(٣) ٥٦ المرجع .

(٤) السنوسى الكبير للأشهب .

(٥) ٥٧ و ١١٢ المرجع نفسه .

ولقد كان السنى من الشعراء المجيدين آنذاك ، ويقول يتحدث عن رحلة الامام المهدى إلى الكفرة :

سل وادى جغبوب عما كان فى حقب
عليه ينبئك والأنبــــاء تعتبر
مأوى العلوم ومأوى الطالبين لهـا
روض الفضائل فهو (الأزهر) النضر

نعم وسل بعده أرضا تبوأها — دارا فأمست بها الخيرات تنتشر
تأوى الوفود لها من كل ناحية — مأوى الحجيج إذا ماجاء يعتمر(١)

ويقول الشاعر محمد السنى يرثى السيد محمد الشريف السنوسى عام ١٣١٣ هـ :

رزء به ثكل الفضائل كلها — ولوقعه وجه الزمان قطوب
تبكيك أبصار لأنك نورها — وبصائر منكم لهـا تطبيب
ومعاشر أنتم ربيع قلوبهم — ومعاهد أنتم لهـا أشبوب
وفرائض ونوافل ومحافل — ومشارق ومغارب وجنوب
سافرت ياابن الأكرمين إلى العلا — وتركت أفئدة عليك تذوب
سفر به لك راحة أبدية — لكن به مس القعود لغوب
وتباشرت بقدومه أهل العلا — فلهم هناك به غداً تثويب
رد اللقاء له أبوه مثلما — رد اللقاء ليوسف يعقوب(٢)

---

(١) راجع القصيدة كلها فى ص ٢١١ و ٢٢٢ برقة العربية للأشهب ، وفى كتاب السنوسى الكبير الأشهب .

(٢) راجع القصيدة كاملة فى ٢٢٥ — ٢٢٧ برقة العربية الأشهب .

أحمد الطائفي[1]

للشاعر أحمد الطائفي قصيدة بعث بها إلى الإمام محمد بن علي السنوسي ، من درنة عام ١٢٦٤ هـ ، وكان الإمام آنذاك في الحجاز :

يامن نأوا عني وشط مزارهم ... وتجددت لبعادهم أحزاني
نار الجوى بين الجوانح أضرمت ... والروح فارق بعدكم جثماني
لا كان يوم البين ، لا كان النوى ... ياليتني أدرجت في أكفاني
حر النوى أو هي قوى تجلدي ... وأحل جسما طبه أعياني
وأطال سهدي والخلائق هجع ... وأثار وجدا كامنا بجناني
وسقى رياض الشوق يوم وداعهم
بسواكب العبرات من أجفاني
فطويت حينئذ بساط مسرتي ... ونشرت بعدكمو ردا أحزاني
فإليك يامولاي أشكو علتي ... وعظيم شوق ، بعضه أضناني
ومتى أفوز بنظرة تطفي الجوى ... وتزيل كرب حشاشة الولهان[2]

ومن شعره كذلك[3] :

دلال منك هجرك أم جفاء ... كلا الحالين لي فيه الوفاء
فهجر الدل محبوب وعذب ... به أهل الغرام لهم رضاء

---

(١) كان علامة أديبا ومن رفاق الامام الأوائل واحد المدرسين بمعهد البيضاء والمعهد الجغبوبي ، تعرف بالامام عام ١٢٤٩ هـ .

(٢) راجع القصيدة كاملة في ص ١٦٨ برقة العربية الأشهب ، وراجع عن الطائفي ص ٦٧ السنوسي الكبير الأشهب .

(٣) ص ٤٧ الحياة الأدبية في ليبيا - الحاجري .

وهجر الصد يطلبه المعنى ليعذب عند غايته اللقاء
وكم قاسيت هجرا من حبيب فكان لغاية الهجر الصفاء

على عبد الحق القوصى

كان من تلامذة الامام ، ومن الشعراء ، وله قصيدة يعتذر بها إلى الامام الأكبر(١) .

اعلام مشهورة فى عصر الإمام وبعده

محفوظ الورفلى

كان من الاخوان السنوسيين ، وكان موضع رعاية الامام ، وهو عالم مجتهد ، من أكبر رجالات السنوسيين وعلمائهم ، استشهد فى الحرب ضد الطليان عام ١٣٤٥ ﻫ (٢) .

مصطفى المحجوب

هو جد السيد صفى الدين السنوسى لوالدته عرف بالصلاح والتقوى(٣) وهو من مصراته ، وقد تعرف على الامام الأكبر عام ١٢٥٧ ﻫ فى طرابلس، والتحق بالزاوية البيضاء عام ١٢٥٨ ﻫ ، وقد تولى مشيخة زاوية الطيلمون وبها توفى عام ١٣١٣ ﻫ (٣) ، أو عام ١٣٢٣ ﻫ (٤) .

---

(١) ١٤٩ و ١٥٠ السنوسى الكبير للأشهب .
(٢) ٢٥٨ أعلام ليبيا ـ وقد ذكر من الطيب الأشهب الاخوان السنوسيين الأول وترجم لهم فى كتابه « السنوسى الكبير » ص ٥٦ ـ ٧٠
(٣) ٣٤٤ أعلام ليبيا .
(٤) ٦٦ السنوسى الأكبر للأشهب .

احمد بن إدريس الأشهب[1]

من تلاميذ السيد محمد الشريف ، تلقى عنه الحديث والتفسير والتصوف واللغة والأدب ، وتولى مشيخة بعض الزوايا كما قام بالتدريس فى معهد جغبوب ، وكان شاعرا ، ومن شعره قصيدة قالها بمناسبة انتقال المهدى إلى الكفرة ، ومنها :

لقد أعلن الحادى بما كان فى السر
وأخبرنى عن صاحب المجد والبر

وأخبرنى عن نعته وصفاته   وعن مثل ما يبدو على الوجه كالبدر
أقمت زمانا بالجغابيب ساعيا   لنفع عباد الله فى السر والجهر
ومن بعد ذا وجهت وجهك قبلة   لنحو سهيل قاصد النفع والأجر
حثثت ركاب المجد للنور والعلا   وسرت إلى أعلى السعادة والفخر

وهو والد الطيب الأشهب المؤرخ الليبى للحركة السنوسية .

احمد المقرحى[2]

من أعيان العلماء وفضلائهم تولى الافتاء بالزاوية ، واتصل بالامام الأكبر محمد بن على السنوسى فى طرابلس عام ١٢٥٧ ه ، وانتقل معه إلى برقة ، وصار من خواص أصحابه ، وتوفى عام ١٢٦٣ ه ، حيث دفن بمقبرة رويفع الأنصارى .

---

(١) راجع ص ٦٠ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى .
(٢) ١ : ١٧٧ قصة الأدب فى ليبيا ، ١ : ٨٠ أعلام ليبيا .

احمد بن يوسيف

من تلامذة الإمام الأكبر محمد بن على السنوسى ، وكان على جانب كبير من العلم ، وهو جد الملك إدريس السنوسى لأمه - توفى عام ١٢٩٤ هـ(١) .

محمد الأزهرى

كان يضرب بعلمه المثل ، اتصل بالإمام الأكبر محمد بن على السنوسى ، وكان يلقبه بالأزهرى لعلمه وإن لم يكن قد ذهب إلى الأزهر ولا تلقى ثقافته فيه ، وقد أخذ عن محمد بن منيع (١٣٣٠ هـ) ، وتوفى بعد عام ١٣٠٥ هـ(٢) .

احمد النائب الأنصارى الطرابلسى

سبق ذكره فى الجزء الأول(٣) ، وهو صاحب كتابى : « المنهل العذب » ، و « نفحات النسرين والريحان » .

تتلمذ على الشيخ فالح الظاهرى الذى قدم له كتابه « المنهل العذب » ، وكان قد التقى به فى الآستانة ، وصار يقص عن أستاذه الظاهرى تاريخ السيد الإمام محمد بن على السنوسى ؛ وله مدائح فى الإمام ، وكان قد التقى به وتعرف إلى فضله وعلمه وأفاد منه .

وتوفى عام ١٣٣٥ هـ : ١٩١٤ م ، وميلاده عام ١٢٦٤ هـ : ١٨٤٦ م .

---

(١) راجع ١ : ٥٤ أعلام ليبيا ، ١ : ١٧٧ قصة الأدب فى ليبيا .
(٢) ١ : ١٨٢ قصة الأدب فى ليبيا .
(٣) ١ : ١٩٧ قصة الأدب فى ليبيا العربية .

احمد بن يوسف بن شتوان[1]

اجتمع بالإمام السنوسى فى برقة واستفاد من علمه ، وعاش فى الآستانة آخر حياته ، وتوفى بها عام ١٣٠٥ هـ : عام ١٨١٥ م ، وكان من كبار الأدباء والشعراء فى عصره ، كما اجتمع ابن شتوان بالإمام محمـــد بن على فى طرابلس مرة .

مصطفى بن زكرى

سبقت ترجمته [2] ، وكان شاعرا موهوبا وله مدائح فى السيد المهدى السنوسى ، وتوفى عام ١٩١٨ ومولد عام ١٨٥٣م .

---

(١) ١ : ٢٠١ المرجع .
(٢) ١ : ٢٠٥ قصة الأدب فى ليبيا العربية .

الفصل الثاني

خلفاء الإمام فى الدعوة السنوسية

١ — الإمام السيد محمد المهدى السنوسى

(أ) خلف الإمام الأكبر محمد بن علي السنوسى فى قيادة الدعوة السنوسية ابنه الأكبر السيد محمد المهدى السنوسى[1] من عام ١٨٥٩ حتى وفاته عام ١٩٠٢م، وفى أيامه استقر أركان الدعوة والإمارة السنوسية، وامتد نفوذ السنوسية فى برقة وطرابلس وفزان، وفى أفريقية الغربية وفى تونس والجزائر ومصر والحجاز؛ وعلى أيدى الدعاة السنوسيين وصل الإسلام إلى بلاد: كور، وتبستى، وبركو، وإندى، ودارفور، ووادای، وكانم، وتشاد، وأدقر، وبقرمی، وفى عام وفاته بلغت الزوايا السنوسية ١٤٦ زاوية؛ وقد نقل مركز الدعوة من الجغبوب إلى الكفرة، وكان عصره عصر ازدهار علمى ودينى واستقرار سياسى واجتماعى فى جميع الأنحاء التى يشرف عليها ويديرها السنوسيون، ويقول فيه صادق بك الرحالة العثمانى من قصيدة طويلة:

يا ابن السنوسى يامن شمسه سطعت ... بدرا أضاء الورب البدو والحضر
لو أرسل الله بعد المصطفى رسلا ... لكنت أول مبعوث إلى البشر[2]

ولما توفاه الله إلى رحمته دفن جثمانه الطاهر فى الكفرة.

(ب) وفى عهد السيد المهدى ظهر الكثير من الشعراء، ومنهم السادة:

---

(١) ولد بماسة فى الجبل الأخضر عام ١٢٦٠ هـ - نوفمبر ١٨٤٤ م.
(٢) ص ٨٨ السنوسية دين ودولة - محمد فؤاد شكرى.

أحمد بن إدريس الأشهب ، محمد بن عبد الله السنى ، عبد العزيز العيساوى ، محمد بن عبدالله التوانى ، عبد الرحيم شلبى ، محمد على عبدالمولى ، عبد السلام السنى ، آدم الفزانى ، وغيرهم (١) . ومن بين هؤلاء الشعراء من يعد فى طليعة الكتاب ، ولأحمد بن إدريس ، ومحمد السنى ، وعبد العزيز العيساوى منزلة خاصة فى الكتابة (١) ، وللسيد أحمد بن إدريس رسالة شعرية فى الشاى وأخرى فى لغات الطيور ، وقصة المولد النبوى الشريف التى ألفها عام ١٣٣٥ هـ (٢) ، ومع أن الاستعمار الإيطالى الذى وفد على البلاد حارب اللغة العربية وكل موارد الثقافة العربية وكتب ومجلات مصر والعالم العربى ، فقد نشأ شعراء كثيرون فى برقة تتلمذوا على هذه المدرسة من بينهم : المهدوى وإبراهيم الأسطى عمر ، وفؤاد شنيب ، وعبد السلام عمران ، والحسين الحلاق ، وإبراهيم محمد الهونى ، وعلى الساحلى ، والشيخ منصور المحجوب ، وعبد القادر الحصادى شاعر درنة ، ومحمد البشير المغربى ، والزبير السنوسى وسواهم (٢) ، كما نبغ من الكتاب الذين تتلمذوا على المدرسة نفسها : السيد قاسم السنوسى ، والسيد على صفى الدين السنوسى ، والشيخ منصور المحجوب ، ومحمد الأخضر العيساوى ، والشيخ عبد الحميد الديبانى ، وعمر باشا منصور ، وعمر بك شنيب ، وخليل القلال ، ومحمد الساقزلى ، ومصطفى بن عامر وصالح بويصير ومحمد بن عامر ، ومحمد الصابرى ، وعبد الجواد الفريطيس ، ورشيد كاهية ، وسالم بن عامر ، وحامد الشويهدى ، ومحمود مخلوف ، وعلى فلاق ، وحسين يوسف مازق ، ومحمد سرقيوه ، ومحمد بوكر ، وعبد الله سكته ، وعبد الرزاق شقلوف ، والمبروك الجبانى ، ومحمد السعداوية ، وتوفيق نورى ، وعبد السلام بسيكرى ، وسالم الأطرش ، وسليمان الجربى ، وعبد الكريم جبريل ، وسليمان منصور الحداد ، وحسين غرور ، وحسين الغناوى ، ومصطفى بن سعود ، ومحمد بن صويد ، ومحمد عابد عبد المولى ، والسنوسى

---

(١) ٥٧٣ برقة العربية .   (٢) ٥٧٣ و ٥٧٤ المرجع .

الغزالى ، وأحمد الغزالى ، وإبراهيم الغمارى ، وعمر بن إدريس ، ومحمد عبد السلام الغمارى، ومبارك شحاته ، ويوسف بن كاطو، ووهبى البورى ، ومنصور سنبتة ، ومنير البصباع ، وفتحى العابدية ، وفرج جليل ، وسواهم (١) .

(ج) وكان الإمام المهدى السنوسى يشجع الأدب والأدباء والشعر والشعراء تشجيعا بالغا ، وكانت تنشد فى مجلسه قصائد الإخوان السنوسيين ، ومما أنشد فى مجلسه : قصيدة أحمد باشا المنتصر التائية فى الإمام الأكبر محمد بن على السنوسى ، وقصيدة السيد عبد الرحيم البرقى فى رثاء الإمام ؛ وكان ينشده المنشدون أشعار الشيخ على الليثى شاعر الحضرة الخديوية فى مصر وتلميذ السيد الإمام السنوسى ، وكذلك أشعار عبد الله باشا فكرى . . ومما نظمه الامام المهدى فى سلسلة النسب الإدريسية :

سلسلة من عسجد قد نظمت	بالجوهر المضىء من ضوء سما
فانبعثت شعشعة من نورها	أجلت ظلاءا كان قبل قد طما
وابتهجت بابن السنوسى الذى	شمس علاه بهرت شمس السما
فانظر هنا منثور در تنظرن	روضا نضيرا ناميا منمنما(٢)

وكانت تجرى فى مجالس الإخوان السنوسيين معارضات شعرية (٣) ، وقد أمر الإمام المهدى بتدوين قصائد الشعراء وكل مايتصل بالناحية الأدبية نظما ونثرا، وكانت هناك مجموعة كبيرة مخطوطة سميت بسفينة الإخوان تحتوى على قسم كبير من القصائد ، وكانت كل زاوية من الزوايا تحتفظ بنسخة منها(٤) ، وللشاعر عبد الله السنى قصائد طويلة فى مدحه (٥) ، وكذلك لحسن ابن أحمد وفا (٦) .

---

(١) ٥٧٤ برقة العربية للأشهب .

(٢) راجع ٥٦٩ - ١ ٥ برقة العربية ، و ٨ السنوسى الكبير للأشهب .

(٣) ٥٧١ و ٥٧٤ - ٥٧٦ برقة العربية . (٤) ٥٧٢ المرجع .

(٥) ص ٥٨٢ - ٥٨٥ المرجع . (٦) ٥٨٥ المرجع .

(د) ونجد شعرا للسيد فالح الظاهري في كتاب برقة العربية، للأشهب[١]، والسيد أحمد الطائفي [٢] ، ولعلي عبد الحق القوصي [٣] ، وللسيد حسن ابن أحمد وفا ، في مدح المهدي [٤] ؛ وللسيد أبي القاسم العيساوي قصيدة في مدح الإمام المهدي كذلك [٥] .

ويقول الشاعر أبو سيف (١٣١٥ هـ) يودع الإمام المهدي السنوسي حين تحول من الجغبوب إلى الكفرة عام ١٢٩٤ هـ ، وقد سبق بعضها في ص ٢٤ :

همو هيجوا يوم النوى برح أشجاني ... وحاديهمو لما ترنم أشجاني
وهم سلبوا لبي وألبس بينهم ... رداء الردى جسمي وأثواب أحزاني
وهم غادروا جسمي لقى بعد مهجة ... جرى ذوبها من بحر مدمعي القاني
فوالله لا أنسى عشية ودعوا ... فأودعتهم صبري وودعت سلواني
وضاعف أحزاني مواقف جمة ... وبرح بي فقدان صحبي وأخداني
يسائلني مولاي تسآل رحمة ... يجل بها شأني ويبتئس الشاني
ومن أعجب الأشياء رحلة معشر ... غدت محشرا أوهت قوى كل إنسان
تبلد من جرائها كل سوقة ... وطاطأ إجلالا لها كل سلطان
وزلزلت الدنيا وماجت بأهلها ... وعادت عواد بين ترك وعربان
لك الله من ركب تيمم كفرة ... تناخم (كيوار) المتاخم سودان
وحثوا مطاياهم ببيض قبابهم ... فلاحت نجوم دونها نجم كيوان
وخلوا بجغبوب المقدس جلية ... ينهلون بعد النهل ، طلاب عرفان
هو ابن السنوسي الذي شاع ذكره ... بكل بلاد بين سوس وإيران

---

(١) ص ٥٧٧ - ٥٧٨ برقة العربية .
(٢) ٥٧٨ و ٥٧٩ المرجع . (٣) ٥٧٩ المرجع .
(٤) ٥٨٥ المرجع ، ولأحمد وفا قصيدة في رثاء السيد عبد الله التواتي (راجع صفحة ٥٨٦ و ٥٨٧ المرجع) .
(٥) ٥٨٧ و ٥٨٨ المرجع .

إمام همام كان للخلق قبلة ... تيممها القاصى من الخلق والدانى
عليك سلام الله ماهبت الصبا ... تحية صب خافق القلب هيمان (١)

ويقول أحمد المنتصر يمدح الإمام السيد المهدى من قصيدة طويلة :

جاءنا مرشد ومهد وهـاد ... مفرد فى قواعد التلقين
فاستنارت به البلاد مشيدا ... حوزة الشرع والكتاب المبين
وترقت قبائل قبـل كانت ... لاتفرق حصباءها من لجين(١)

ويقول شكيب أرسلان يمدح الإمام محمد المهدى السنوسى :

لايرى العلم فى سوى العمل الصا ... لح فالعلم آلة ووعاء
بات فعلا هدى مريد السنوسى وأن ليس بالكلام اكتفاء
كلهم عالم لذلك فيهم ... تتبارى العقول والأعضاء
كم تولى بالكف سكة حرث ... حبر علم حظت به القراء
حققوا سنة المعلم للخير ... ر الرسول الذى به الاقتداء
بث ما بين مطلع الشمس والغر ... ب رشادا ضاءت به الأرجاء
وزوايا فى كل غور ونجد ... ليس يستطيع حصرها الإحصاء
وبدا بالبناء فى الجبل الأخ ... ضر حيث البنية البيضاء
رد أزر الإسلام صلبا سويا ... بعد أن كان شفه الانحناء
وأعاد الإسلام غضا كما كا ... ن عليه أسلافه القدماء
لم يقم مثله لإرشاد خلق ... ذلك الحق ليس فيه مراء(٢)

---

(١) راجع القصيدة كاملة فى ٢١٧ و ٢١٨ برقة العربية للأشهب .
(٢) راجع ص ٨٤ السنوسى الكبير للأشهب .
(٣) ص ٨٤ السنوسى الكبير للأشهب .

وفى الإمام محمد المهدى السنوسى يقول الشاعر الكبير أحمد رفيق المهدوى :

السيد المهدى أعظم مصلح ... بعد الأئمة جاء بالإصلاح
إصلاحه الدين الصحيح منزه ... عن جذبة المتصوف السباح
صان العقائد من خرافات ومن ... بدع ومن متناقض الشراح

وفى طريقته يقول :

كانت طريقته القيام بسنة ... نبوية لألاءة الأوضاح
ليست لدروشة المريد وجذبه ... بالدف أو بالضرب أو بصياح
كانت معالمها كسيرة جده ... إحياء دين وانتشار صلاح
يكفيه نشر الدين فى الآفاق من ... أقصى حدود (الشاد) حتى (الواح)
وكفاه نشر للعلوم بناؤه ... المعاقل مثل الحصون فساح

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة . (١) .

(ه) ويحدثنا الأمير شكيب أرسلان عن تحول السيد المهدى من الجغبوب إلى الكفرة وجهاده الرائع فى نشر الإسلام بين القبائل الوثنية على أطراف السودان وتنظيمه لحياة أتباعه تنظيما على أسس إسلامية صحيحة تجمع بين خير الدنيا والآخرة فيقول رحمه الله : « وعكف على تهذيب تلك الأقوام ونشأهم فى طاعة الله بعد أن كانوا يتسكعون فى مهامه الجهل ، فبدلت به الأرض غير الأرض ، وانقلبت به أخـــلاق هاتيك الامم انقلابا حير العقول ولم يقف فى الدعاية الروحية على واحات الصحراء . . وأطراف السوادين . . بل بث دعاته فى أواسط أفريقيا ، فكان السيد المهدى

---

(١) راجع ديوان رفيق ، ٢٠ و ٢١ السنوسى الكبير الأشهب .

هو المزاحم الأكبر لجمعيات المبشرين الأوروبية المنبثة فى قارة أفريقيا كلها، وعلى يده وبسبب دعايته الحثيثة اهتدى للإسلام ملايين من الزنوج، فلهذا صارت جمعيات المبشرين بأسرها تشكو حزنها وبثها من نجاح الإسلام فى أواسط أفريقيا مثل بلاد النيجر والكونغو والكامرون. وديار بحيرة تشاد، وتوجه أكثر شكواها إلى الطريقة السنوسية كما طالعنا ذلك فى مؤلفات أوروبية عديدة. هذا من جهة القوة الروحية، وأما من جهة القوة المادية فقد كان السيد المهدى يهدى هدى الصحابة والتابعين لا يقتنع بالعبادة دون العمل. ويعلم أن أحكام القرآن محتاجة إلى السلطان. فكان يحث إخوانه ومريديه دائما على الفراسة والرماية. ويبث فيهم روح الأنفة والنشاط. ويحملهم على الطراد والجلاد.. ويعظم فى أعينهم فضيلة الجهاد. وقد أثمر غراس وعظه فى مواقع كثيرة لاسيما فى الحرب الليبية التى أثبتت بها السنوسية أن لديهم قوة مادية تضارع قوة الدول الكبرى وتصارع أعظمها جبروتا وكبرا؛ وليست الحرب الليبية وحدها هى التى كانت مظهر بطش السنوسيين بل سبقت لهم حروب مع الفرنسيين فى مملكة كانم ومملكة واداى من السودان استمرت من سنة ١٣١٩ إلى سنة ١٣٣٢ هجرية؛ وحدثنى السيد أحمد الشريف أن عمه المهدى كان عنده خمسون بندقية خاصة به وكان يتعاهدها بالمسح والتنظيف بيده لا يرضى أن يمسحها له أحد من أتباعه المعدودين بالمئات قصدا وعمدا ليقتدى به الناس ويحتفلوا بأمر الجهاد وعدته وعتاده. وكان نهار الجمعة يوما خاصا بالتمرينات الحربية من طراد ورماية. وما أشبه ذلك فكان يجلس السيد فى مرقب عال والفرسان تنقسم صفين ويبدأ الطراد فلا ينتهى إلا فى آخر النهار» (١).

---

(١) ص ١٢ شكيب أرسلان والقضية الليبية تأليف محمد رجب الزائدى، نشر مكتبة حسن خراز بالبيضاء ـ ١٩٦٤ م.

٢ — السيد احمد الشريف السنوسي

لما توفى الإمام المهدى عام ١١٠٢ كان ابنه السيد محمد إدريس السنوسى فى الثالثة عشرة من عمره ، فتولى إمامة الدعوة السنوسية وقيادتها و توجيهها ، فى وقت كانت الحرب فيه مستعرة بين السنوسيين والفرنسيين فى الجنوب ، الإمام السيد أحمد الشريف (١) ابن السيد محمد الشريف بن الإمام محمد بن على السنوسى ، وكان أكبر رجالات البيت السنوسى سنا ، فواصل بعد توليه الإمامة الحرب مع الغزاة الفرنسيين فى الجنوب ، ثم فاجأه الغزو الإيطالى (٢) للوطن الليبي فقاد حركة النضال والجهاد ضد الغزاة الإيطاليين من عام ١٩١١ حتى عام ١٩١٨ ، وكان فى هذا الجهاد مثلا أعلى فى التضحية والبطولة وشرف النضال ، ومع أحوال ليبيا الاقتصادية القاسية ووطأة الحرب الكبرى ومساندة انجلترا لإيطاليا فقد استمرت حركة الجهاد ضد البرابرة الغزاة ، وكبدت الإيطاليين أفدح الخسائر ، وضحى الشعب الليبي بكل مايملك من عزيز وغال فى سبيل الدفاع عن حريته ، وفى عام ١٩١٨ اعتزل السيد أحمد الشريف الإمامة وترك الزعامة (٣) لشبل عظيم من البيت السنوسى المجيد هو

---

(١) ولد بالجغبوب عام ١٢٩٢ هـ : ١٨٧٥ م ووالدته ابنة عمران بن بركة وكانت من فضليات السيدات ، وكان موضع رعاية عمه السيد المهدى السنوسى .

(٢) وقع هذا الغزو الاستعمارى فى ٢٩ من شهر سبتمبر من عام ١٩١١ م (١٣٢٩ هـ) ، حيث جاء الأسطول الإيطالى يحمل ٤٠ ألفا من الجند بكامل عتادهم ومعداتهم ، يحميهم الأسطول ، وأطلقت القذائف الأولى على درنة ، ثم تلا ذلك ضرب طرابلس وبنى غازى وطبرق والخمس ، وكانت إيطاليا قد مهدت للغزو ببث مدارسها ونشر ثقافاتها وصناعاتها ومصارفها التجارية وجواسيسها فى جميع أنحاء البلاد .

(٣) سافر رحمه الله إلى تركيا حيث استقبل استقبال الأبطال عام ١٣٣٦ هـ ، ثم انتقل إلى سوريا فالحجاز ، وهناك وافته المنية عام ١٣٥١ هـ — ١٩٣٣ م ودفن بالبقيع .

السيد محمد إدريس السنوسي ؛ يقول الأمير شكيب أرسلان عن السيد أحمد الشريف السنوسي : لقد تعرفت به عن طريق السماع والمراسلة منذ جئت إلى برقة فى أواخر عام ١٩١١ م . ومكثت فيها مجاهدا ثمانية أشهر حتى منتصف عام ١٩١٢ م تقريبا وفى تلك الآونة كان السيد أحمد الشريف موجودا بزاوية التاج فى الكفرة ثم انتقل منها إلى الجغبوب ليكون عن قرب من الحرب الدائرة بين المجاهدين والطليان ، وكان المرحوم شكيب أرسلان موجودا بمعسكر الجبل الأخضر بعين منصور بظاهر درنة ومن هناك سافرت إلى الآستانة ، ولم يتيسر له مقابلة السيد أحمد الشريف رغم تشوقه لذلك . ونشأت بينهما علاقات ودية عن طريق المراسلة . وانتقل السيد أحمد الشريف السنوسي إلى تركيا سنة ١٩١٨ م .

ولكن لم يسمح القدر بالاجتماع بينهما إلا فى أواخر سنة ١٩٢٣ م . عند مجىء الأمير شكيب إلى الآستانة .. وهذا ماخطه يراع أمير البيان عن أثر مقابلته مع السيد أحمد الشريف فى نفسه وانطباعاته عنها[1] : « وقد رأيت فى هذا السيد السند بالعيان . ماكنت أتخيله عنه بالسماع . رأيت فى السيد حبرا جليلا . وسيدا غطريفا . وأستاذا كبيرا . من أنبل من وقع نظرى عليهم مدة حياتى . جلالة قدر . وسراوة حال . ورجاحة عقل وسجاحة خلق . وكرم هزة وسرعة فهم وسداد رأى . . وقوة حافظة ، مع الوقار الذى لاتنغض من جانبه الوداعة . والورع الشديد فى غير رياء ولا سمعة . سمعت أنه لايرقد فى الليل أكثر من ثلاث ساعات ، ويقضى سائر ليله فى العبادة والتلاوة والتهجد . ورأيته مرارا تنفح بين يديه السفر الفاخرة اللائقة بالملوك فيأكل الضيوف والحاشية ، ويجتزىء هو بطعام واحد لايصيب منه إلا قليلا وهكذا هى عادته . وقد لحظت منه صبراً قل أن يوجد فى غيره من الرجال . وعزما شديدا تلوح سيماؤه على وجهه ، فبينا

---

(١) راجع ص ١٩ و ٢٠ من كتاب شكيب أرسلان والقضية الليبية .

هو فى تقواه من الابدال . إذا هو فى شجاعته من الأبطال . وقد بلغنى أنه
كان فى حرب برقة يشهد كثيرا من الوقائع بنفسه . ويمتطى جواده بضع
عشرة ساعة على التوالى بدون كلال وكثيرا ما كان يغامر بنفسه . ولا يقتدى
بالأمراء ، وقواد الجيوش الذين يتأخرون عن ميدان الحرب مسافة كافية .
حتى لا تصل إليهم يد العدو، فيما لو وقعت الهزيمة ؛ وفى إحدى المرار أوشك
أن يقع فى أيدى الطليان ، وشاع أنهم أخذوه أسيراً وقد سألته عن تلك
الواقعة ، فحكى لى خبرها بتفاصيله وهو أنه كان ببرقة فبلغ الطليان بواسطة
الجواسيس أن السيد فى قلة من المجاهدين ، وغير بعيد عن جيش الطليان
فسرحوا إليه قوة عدة آلاف ومعها سيارة خاصة لركوبه إذكان اعتقادهم
أنه لا يفلت من أيديهم تلك المرة . فبلغه خبر زحفهم . وكان يمكنه أن
يحجم عن اللقاء أو أن ينحرف بنفسه إلى جهة يكون فيها بمنجاة من الخطر .
أو يترك الحرب للعرب تصادمهم فلم يفعل ، وقال لى : خفت أننى إن طلبت
النجاة بنفسى ، أصاب المجاهدين الوهل فدارت عليهم الدائرة فثبت للطليان
وهم بضعة آلاف بثلاثمائة مقاتل لاغير ، واستماتت العرب وصدموا العدو .
فلما رأى هؤلاء وفرة من وقع من القتلى والجرحى ارتدوا على أعقابهم
وخلصنا نحن إلى جهة وافتنا فيها جموع المجاهدين . ثم قال لى : وفى هذه الوقعة
جرح الضابط نجيب الحورانى الذى كان من أشجع أبطال الحرب الليبية .
كان قائدا ولكنه كان يغامر بنفسه فى كل واقعة ، فجرح مرتين واستشهد
فى الثالثة ؛ ولم يحزن السيد على أحد حزنه عليه لباهر شجاعته ، وشديد
إخلاصه . وكان السيد يكتب لى من الجبل الأخضر وافر الثناء عليه ،
وكان دائم الترحم عليه . والشهيد المذكور هو نجيب بك ابن الشيخ سعد
العلى من مشايخ بلاد عجلون ، ترك فى بلاد الغرب ذكرا خالدا ، . ثم يقول
أمير البيان :

وكان السيد أحمد الشريف ، سريع الخاطر ، سيال القلم ، لا يمل الكتابة

أصلا، وله عدة كتب، منها كتاب كبير أطلعنى عليه فى تاريخ السادة السنوسية وأخبار الأعيان من مريديهم والمتصلين بهم ينوى طبعه ونشره، فيكون أحسن كتاب لمعرفة أخبار السنوسيين . وإنما يفهم الإنسان من مطالعة أخبار سيدى محمد السنوسى وولده سيدى المهدى وحفيده سيدى أحمد الشريف أن طريقتهم طريقة عملية .. تعمل بالكتاب والسنة ولا تكتفى بالأذكار والأوراد دون القيام بعزائم الإسلام، كما كان عليه الصدر الأول، ولذلك وفقوا للجهاد .

وقد وقفوا فى وجه دولة عظيمة كدولة إيطاليا ثلاث عشرة سنة، ولولاهم كانت إيطاليا سيدة طرابلس وبرقة منذ أول شهر من غاراتها عليهما، ويذكر الناس أن الطليان قدروا لتدويخ طرابلس وبرقة كلهما مدة خمسة عشر يوما . من أول نزولهم ، وأن قوادا من الانجليز المحنكين فى حروب المستعمرات والبوادى، قالوا إن الطليان أفرطوا فى التفاؤل بظنهم الاستيلاء على ليبيا فى ١٥ يوما وهذا الغزو يحتاج إلى ثلاثة شهور، فلينظر الإنسان كيف أن المدة التى قدرها أركان الحرب فى إيطاليا ١٥ يوما، وقدرها أركان الحرب فى انكلترا ثلاثة أشهر تطاولت ثلاث عشرة سنة كاملة . والحرب اليوم هى كما كانت فى بدايتها . وكل هذا بفضل السادة السنوسية ولا سيما هذا السيد العظيم سيدى أحمد الشريف» .

والأمير شكيب أرسلان همزية عصماء فى تعداد مآثر وصفات الإمام العظيم السيد محمد المهدى السنوسى والد الملك الإدريس الأول وقد سبق بعضها، ومنها :

هل ترى ينتهى إليه الثناء	سيد ينتهى إليه السناء
وتؤدى له البلاغة حقا	ويوفى أخباره الإنشاء
ويجلى القريض صورة معناه	ولو بالشعرى أتى الشعراء
قد كفانا من وصفه أنه المهدى	منذ قد تجلت الأسماء

نجل قطب قد كان فى الشرق والغرب
سراجا بنـــوره يستضاء

هو بحر الشريعة ابن السنوسى الذى عنه سارت الأنباء
جمع العلم والولاية فأم به العالمون والأولياء
لايرى العلم فى سوى العمل الصالح
فالعـــلم آلة ووعـــاء

بث ما بين مطلع الشمس والمغرب رشدا ضاءت به الأرجاء
الهمام المهدى والسيد الصادع بالحق والسحاب الرواء
يملأ العين هيبة وجلالا وهو مع ذا بلحظه اغضاء
أشبه الناس بالنبى ومن يشبه أباه فليس منه اعتداء
نشر الدين فى بلاد السوادين وقد عمها به الاهتداء
وبأسيافه طرابلس الغرب أجيرت وبرقة الحمراء
فاسال القرو والجغابيب والكفرة
ينطق عمـــرانها والنماء

واسال الواح كلها كيف عاشت بالسنوسى تلكم الصحراء
ليس يخشى الافرنج غير السنوسى وبما هم فى خوفه أغبياء
عرفوا قدره وبعد مراميه فأشادت بفضله الأعـــداء
كم شدت من لواه ترجف رعبا دولة ملء أنفها الكبرياء
رد أزر الإسلام صلبا سويا بعد أن كان شفه الانحناء
وأعاد الإسلام غضا كما كان عليه أسلافه القـــدماء
لم يقم مثله لإرشاد خلق ذلك الحق ليس فيه مراء

وقد سبق بعض أبيات من هذه القصيدة . .

كلها نهضة إصلاحية كبرى ، بفضل حنكة القائد وقوة إيمانه وطول تجربته وخبرته الواسعة بشئون الدين والدنيا معا ، وكان النصر للمؤمنين ، وصارت ليبيا الحرة المستقلة اليوم موضع التقدير ، وطنا وشعبا وحكومة وملكا ، من الجميع .

ولقد ولد السيد الإدريس السنوسى فى الجغبوب فى العاشر من رجب عام ١٣٠٧ هـ (١٢ مارس ١٨٩٠) ، وتلق ثقافة واسعة فى علوم الدين ؛ وكانت تجاربه الكثيرة فى الحياة وإيمانه المطلق بالله وبالدين ، هما مصدر إلهامه ونجاحه فى كل لحظة من لحظات حياته الطويلة المباركة بإذن الله .

وقد كتب عن حياة الإدريس العديد من المؤلفات ، ومن بينها كتاب « إدريس السنوسى » بقلم د م . الطيب الأشهب » ، ويقول الأشهب فى مقدمة هذا الكتاب(١) :

الأمة الليبية عاهلها المفدى « إدريس السنوسى » هو رأسها المفكر وهو قلبها النابض وعينها المبصرة ولسانها الفصيح ، وهو سلاحها الذى لا يفل ، وهو الوقاء المكين من جميع الأسواء ؛ فالأمة هى إدريس وإدريس هو الأمة ، والأمة الليبية إذ تؤمن بهذه الحقيقة فهى لا تؤمن بها عن رهبة أو خوف ، ولا عن جهل أو انسياق ولا عن طمع محدود الجوانب ، ولكنها تؤمن بهذه الحقيقة إيمانا صحيحاً راسخا رسوخ الدهر عن رغبة صادقة فى إسعادها وحياتها ، وعن علم ومعرفة تامين ، وعن تجارب طويلة واختبارات عريضة ، وعن دراسة عميقة تلتها امتحانات شديدة ، خرجت الأمة من

---

(١) ص ٨ إدريس السنوسى ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ مكتبة القاهرة بالصنادقية بالأزهر .

هذا كله بحقيقة ثابتة لا تقبل الجدل ولا تحتمل النقاش وهي أن : الإخلاص «لإدريس السنوسي» والوفاء للوطن شيئان متصلان لا يفترقان ، ثم إن هذه العقيدة لم تكن مجرد قول لا يصحبه العمل ؛ فالشعب الليبي يقول بهذه العقيدة في مجال القول فاخرا معتزا ، ويعمل بها في مواطن العمل منتجاً مفيداً ، وهكذا يتجلى حب الأمة لنفسها في حبها لرمز وجودها وعنوان مجدها الخالد «إدريس السنوسي» بصورة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من عقيدتها الدينية ، «فادريس السنوسي» - كما تؤمن الأمة - هو الدعامة الكبرى لسعادة الوطن واستقراره ، وهو القاعدة المتينة التي تتركز عليها صيانة الوطنية وأمجادها ، هذا ما أثبته تاريخ الوطن الليبي وتاريخ الأمة الليبية في مختلف المراحل منذ أن تقلد زمامها «إدريس السنوسي» بعد والده ، وبذلك أصبح هو تاريخ أمته الحي وموسوعة أمجادها الناطقة ، وهو الجدير بثقة أمته الوفية ، وإنه لجدير من يستحق هذه الثقة كاملة غير مجزأة ، كما كانت الأمة الليبية أيضاً جديرة بزعامة عاهلها «إدريس السنوسي» الذي توج غرة جبينها ، فما إيمان الأمة بإدريسها إلا اعتقاد رسخ في الأذهان بأن هذا الرجل قد خلق لها دولة تتمتع بمكان رفيع بين الدول ، ما كانت لتخلق لولا الإجهاد الطويل والجهاد الدائم والحرص على إعزازها بكل الوسائل ؛ وهذا هو السر في يقظة الشعب وتدرجه نحو النهوض في شتى الميادين بخطى ثابتة وتنظيم داخلي وخارجي ليس له نظير ، وبهذه النظرة يمكن أن تفسر عظمة هذا العاهل ، تلك العظمة التي أمدت الشعب الليبي بطاقة حيوية مكنته من أن يشق طريقه في سياسته المرسومة رسماً دقيقاً في منطقة مليئة بشتى الصعوبات ، وتمكن بفضل قيادة عاهله من أن يتغلب على جميع الصعوبات ، وأن يلعب دوراً عظيماً في حل مشاكل ليبيا .

خلاصة أخيرة

هذه هى الحركة السنوسية التى أيقظت ليبيا فى أحلك فترة من فترات تاريخها ، والتى عملت على المحافظة على استقلال الوطن وحريته ، والتى قادته فى معارك التحرير الكبرى إلى النصر ، والتى ترنم ببطولات زعمائها الشعب العربى فى كل مكان ، وردد الشعراء فى شتى أرجاء الوطن العربى مفاخر انتصاراتهم، وروائع بطولاتهم، فى قصائد جياشة بالحماسة والوطنية وحب النضال .

وقد كان قيام الحركة السنوسية بداية النهضة الحديثة فى ليبيا ، كما كان قيامها كذلك بداية لظهور الأدب الليبى الحديث . .

الباب الثاني

دعائم النهضة الأدبية الحديثة فى ليبيا

الفصل الأول

١ ــ كفاح الإمام محمد بن على السنوسى

١ ــ ولد الإمام (محمد بن على السنوسى) بالمغرب الأوسط فى مدينة (مستغانم) بالجزائر . يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٠٢ هـ . (٢٢ ديسمبر ١٧٨٧ م) ونشأ فى بيت علم ودين وفضل ، رجاله ونساؤه فى ذلك سواء . وكان والده السيد (على) يجمع إلى العلم والصلاح البراعة فى الفروسية والرماية . وتوفى وهو فى شرخ الشباب بعد عامين من ميلاد ابنه الإمام . فكفلته عمته السيدة (فاطمة) وهى من فضليات النساء فى عشيرتها ، سماحة خلق وغزارة علم فأفاضت عليه من قلبها الكبير ماعوضه الكثير عن فقد والده ، ووجد فيها إلى جانب الحنان والرعاية روافد العلم والفضل والدين وما إن عرف الإمام طريقه نحو التعليم ، حتى أخذت مخايل النجابة تبدو فى شغفه بالعلم وطموحه نحو العلا ، فدرس رضى الله عنه علوم الشريعة ، واللغة ، والمذاهب الإسلامية والطرائق الصوفية ، والفلسفة والمنطق وعلوم الفلك ، وغير ذلك من فنون المعرفة .

٢ ــ قضى الإمام حياته على جناح سفر ، فتنقل فى البلاد الإسلامية وتتلمذ على أساطينها وتمكن خلالها من الاطلاع على الأحوال العامة ، والخاصة للشعوب الإسلامية والشرقية ، ولم يشغله ذلك عن ملاحظة التيارات السياسية والزحوف التبشيرية التى تكن الإسلام والشرق سوء المصير ، فكانت رحلاته بمثابة دراسة لنفسيات أبنائها ، والإلمام بالقوى المؤثرة عليها .

واستطاع أن يتعرف على المصلحين الإسلاميين ويتزود منهم ويتفهم مناهجهم ، فتفادى كثيرا من الأسباب التى كانت تثير عليهم القلاقل وتجعل

الدولة العثمانية تتسلط عليهم وتقاومهم وإن لم يكن هو نفسه بنجوة من هذا .

وكان الإمام يرى أن السفر إحدى وسائل التربية النفسية ، فهو مجاهدة للنفس ومغالبة لحاجاتها وهذا خليق بسموها وتهذيبها . قال فى إحدى رسائله : « وإن سألتم عن الإخوان فهم ولله الحمد بخير جزيل ، وامتثال لله، وانحياش إليه ، لقد هذبهم السفر وأزاح عنهم كل شين وشر فلم يبق لديهم لغير الله مأوى ولا لسواه شكوى »

وأدرك الإمام أن بلاد المسلمين قد أصبحت نهبا موزعا . وهدفا للغزو الأجنبى .

وهذه الحالة التى وصل إليها العالم الإسلامى آلمت قلب الإمام . ويصور لنا مدى القلق النفسى الذى كان يعيشه هذا الحوار بينه وبين أستاذه :

يراه أستاذه وقد استغرق فى تفكير عميق فيسأله . فيم تفكر يابنى ؟ فيجيب التلميذ « إننى أفكر فى حالة العالم الإسلامى الذى أصبح لايعدو أن يكون قطيعا من الغنم لاراعى له ، على الرغم من وجود سلاطينه وأمرائه ومشايخ طرقه وعلمائه » .

ومن هنا استقر فى ذهن الامام أن الأمر أكبر من ملك مغصوب أو عرش مسلوب أو رزق منهوب ، إنه أمر إسلام يحتضر ، أمر شعوب يصفى حسابها الزمن وهى مرغمة .

ويقول لأستاذه : «إن العالم الإسلامى لايزال مفتقرا إلى مرشد حقيقى يكون هدفه سوق العالم الإسلامى أجمع إلى غاية واحدة ونحو غرض واحد» .

ويلقى الفتى على مسامع أستاذه عبرة ودرسا حين يقول : إن المقاطعات والبلاد المعمورة تذهب من أيدى المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق فالإسلام فى حالة التدهور المخيف ! وهذا ما أفكر فيه يا أستاذ .

هذا المشكلة التي جعلت الإمام يعيش في دوامة عنيفة من التفكير العميق، فيعود الأستاذ يسأل تلميذه من جديد وفي سؤاله إشفاق وفي قلبه رحمة فقد احتمل التلميذ عبئاً ثقيلا وكلف نفسه مالا تطيق: عبء أمة منهوبة تحترب عليها الأمم وهي عاجزة عجز الشاة في غاب الضواري. وها هو ذا يجيب عما على المسلمين عمله لتلافي ما ذكرت؟ فيأتي الجواب من الأعماق البعيدة من القلب الجريح الموتور، من الإرادة المتمردة، من العزيمة الصادقة التي فرغت من تشخيص الداء وعرفت كيف يكون الدواء وصممت على العمل: « سأجتهد سأجتهد ».

٣ — والسيد الإمام صاحب دعوة بصير، يسير في دعوته الإصلاحية في مخطط مزدوج: إعداد جذري شامل للقوى الروحية والمادية على السواء، وإرساء هذه على تلك .. ومن ناحية أخرى لا يقف من الأحداث الجارية موقف المتفرج الخلي، ولا موقف المسوف المداري، وإنما استطاع بموهبة الداعية الحاذق أن يأخذ لنفسه الموقف الإيجابي السديد، إن لم يستطع قهر العدو في الحال فلن يخلي له المجال وإنما يباغته كل ما واتته الفرصة ويضع في طريقه الحواجز والسدود وربما تواتيه فينقض عليه .

استطاع الإمام السنوسي في الميدان السياسي أن يحقق بتعاليمه ومناهجه كسبا للإسلام والمسلمين. فالدعوة السنوسية قد أسهمت في جعل ليبيا وغيرها من البلاد العربية تدرك الخطر الاستعماري وتقف في وجهه وتقاومه وتكشف النقاب عن حقيقة نواياه وأغراضه .

أما في ميدان الإصلاح الاجتماعي والخلقي فقد استطاع أن يجعل من الأماكن الخالية ومعاقل الفتاك والمفسدين مأوى أمينا يؤمه الناس في نهم وشغف، يحفظون فيه القرآن ويتدارسون العلم، وتهوى إليه الأفئدة من كل صوب، وفي لباقة الداعية الناجح تمكن من المؤاخاة بين القبائل المتدابرة، فألف بينها وعلمها كيف يكون الإخاء وكيف يكون الإيثار، حتى أصبحت كلمة (الإخوان) تعني الوفاء والإخلاص وتذكرنا بالأخوة الإسلامية في عهدها الأول .

ومما يحمد للإمام السنوسى أنه لم يجعل فى منهج دعوته مكانا لوسائل العنف وتدبير المكائد وإشعال نيران الثورات ، وإنما كان همه ـ كما أسلفنا ـ إعدادا وإيقاظا وهداية ومناهضة للإستعمار فى شتى صوره العسكرية والمدنية واستطاع الإمام السنوسى بذلك أن يضع أسس دولة دينية تعتمد على القرآن والسنة .

وهو الذى امتدت يده البيضاء إلى تأسيس معهد دينى يماثل الأزهر والزيتونة والقرويين ، وجعل مقره واحة الجغبوب . وقد اكتملت له مقومات النجاح على يد حفيده العظيم « محمد الادريس الأول » . واليوم أصبح المعهد جامعة إسلامية لليبيا وركيزة للعلوم الإسلامية والعربية .

٤ — مؤلفات الإمام محمد بن على السنوسى :

نبغ الإمام فى الشريعة الإسلامية واللغة العربية ووقف على أمهات الكتب فى التفسير والحديث والفقه والتصوف، وأضاف هذا إلى دراسته العملية خلال رحلاته المتلاحقة واستخلص منهجه الإصلاحى الذى يعتمد على الجانب الإيجابى العملى ، وقد ترك الإمام للمكتبة العربية الإسلامية إنتاجا فكريا له أثره فى الفكر الدينى الإسلامى . . وهذه هى مؤلفات الإمام المطبوعة :

١ — المسائل العشر المسمى بقنية المقاصد وخلاصة المراصد : بدأ رضى الله عنه هذا الكتاب بمقدمة ببيان جلالة مقادير السلف الصالح ثم أتبعها بمراصد : المرصد الأول فى وجوه الهدى بسنن الأئمة الراشدين ، المرصد الثانى فى كيفية صلاة أهل الاصطفاء وفى صفة صلاته صلى الله عليه وسلم وفى كيفية الصلاة وفروعها وأركانها منفصلة . المرصد الثالث فى نصوص الأئمة على حكم رفع اليدين فى الصلاة والقبض والسكتات الثلاث والاستعاذة والبسملة والتأمين والتكبير والقنوت والسلام والخروج من الصلاة . وختم

بحثه هذا بذكر أحوال القوم الفاخرة فى تمهيد وسبعة فصول ، عن النفس الأمارة والنفس اللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة وفى جميع هذه المراصد والأبواب والفصول يلتزم السيد الإمام أحكام القرآن الكريم ثم نصوص السنة الشريفة والمأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وما أجمعت عليه كلمة السلف الصالح .

٢ — إيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن :

مدار هذا الكتاب وجوب التمسك بالكتاب والسنة وبيان أن دلالة الكتاب والسنة واحدة ، وتضمن أدلة وجوب اتباعها وتقديمها على كل شىء . وقد تعرض رضى الله عنه إلى طرق العمل بالحديث لدى الأصوليين والمحدثين والفقهاء ، وتحدث بإسهاب عن الاجتهاد والتقليد كما أفرد فصلا خاصا فى تفنيد زعم انقطاع الاجتهاد ودعوى أنه إجماع .

٣ — السلسبيل المعين فى طرائق الأربعين : تكلم السيد الإمام فى هذا الكتاب عن الطرائق المحمدية والصديقية والأويسية والقادرية والرفاعية والسهروردية والأحمدية والشاذلية وغيرها حتى ذكر أربعين طريقا .

٤ — المسلسلات العشر : تصدى السيد الإمام فى هذا الكتاب إلى ذكر الأحاديث النبوية واستوعب الكلام فى طرق أسانيدها الصحيحة حيث لم يترك شاردة ولا واردة من أحاديث الكتاب وطرق أسانيده إلا وذكره بإيضاح .

٥ — شفاء الصدر بأرى المسائل العشر : يظهر من فحوى هذا الكتاب أن السيد الإمام رضى الله عنه قد لخصه من كتاب المسائل العشر حيث اقتصر رضى الله عنه على ذكر بعض ما فى الكتاب المذكور وأطنب فيما أخذه من خلاصة ذلك الكتاب وأتى بما يشفى الغليل ويروى الظمآن من الأحاديث النبوية التى تحدد الحكم فى رفع اليدين فى الصلاة والقبض

والسكتات الثلاث والاستعاذة والبسملة فى الفاتحة والسورة والتأمين والتكبير لقيام الثالثة والقنوت ورفع اليدين فى حال الدعاء وتطويل الصلاة وتقصيرها المشروع والسلام والخروج من الصلاة .

٦ — الدرر السنية فى أخبار السلالة السنوسية : توخى السيد الإمام فى هذا الكتاب عرض أخبار من ملك المغرب منذ فتح المسلمون أفريقية فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .. فأورد رضى الله عنه فصولا أفاض الكلام فيها على دولة الأدارسة وفروعهم فى البلاد المغربية وما جددوه من الدين فيها، ثم أفرد فرع بنى عمران الذى ينتسب إليه رضى الله عنه وانتقالاتهم من مملكة فاس إلى قصبة تالوت وما أحدثوه من ملك هناك، ثم ختم كتابه بذكر الخلفاء الأربع وخامسهم سيدنا الحسن السبط بن على رضى الله عنهما ، ثم أثبت خلفاء بنى أمية حتى فرغ منهم ثم أتبعهم بخلفاء بنى العباس .

٧ — الدرر الفردية فى ذكر أوائل الكتب الأزهية .

(١) قسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام ذكر فيها الكتب التى درسها فى كل قسم منها : الأول أنه درس نحو ثلاثمائة كتاب من كتب الأحاديث النبوية الشريفة ، القسم الثانى ذكر أنه درس نحو مائة وخمسين كتابا من كتب التفسير ، القسم الثالث ذكر الطرق الصوفية التى أخذ عنها وعدها إلى أربعين طريقا .

٨ — المنهل الروى الرائق فى أسباب العلوم وأصول الطرائق .

٩ — الشموس الشارقة فى أسماء مشائخ المغاربة والمشارقة .

وهذان الكتابان تناول فيهما الإمام عدة مسائل بالشرح والإيضاح كما عدد فيهما العلوم والأئمة الذين تتلمذ عليهم أثناء تحصيله وتطوافه .

ويلاحظ أن السيد الإمام رضى الله عنه كثيرا مايتكلم بما يشعر أنه مالكى المذهب ولهذا يعد مجتهد مذهب يستنبط من الكتاب والسنة ومايثبت

لديه من ناسخ ومنسوخ ويصحح به ماعزب عن رأى وسمع السلف الصالح رضى الله عنهم . ومما يدل على ذلك قوله فى المسألة الخامسة من كتاب شفاء الصدر مانصه: وبه قال ابن نافع من أصحابنا والشافعى .. وكذلك إذا عبر بلفظ الإمام فى كتبه فإنه يقصد الإمام مالك ، زد على ذلك أنه يصف الإمام مالكا بأنه إمام الأئمة وقد جاء فى كتابه المسمى بإيقاظ الوسنان فى الباب الثانى فى الاجتهاد ص ٦٩ مانصه : وناهيك بإمام الأئمة مالك بن أنس ، مستدلا بأن الإمام مالك يقدم عمل أهل المدينة على الحديث لقرب عهدهم من عهد الوحى والتنزيل .

كما يلاحظ أن الإمام قد أفرد كتابين خاصين بأحوال الصلاة والعبادات وهما « المسائل العشر » و « شفاء الصدر » اللذين سبق ذكرهما . وقد تضمن الكتابان اجتهادات خاصة الإمام نبعت من الأصول الشريفة واعتمد على أسس مكينة من علوم العقل والمنطق والشريعة والاستقراء وليس من نافلة القول أن نذكر فى هذا المجال أن اختلاف الأئمة فى أحوال الصلاة هو اختلاف فى حال وماثبت عمله يكون إيجابيا والاقتداء به سنة ، أما ماقيل بتركه فلعل ذلك من قبيل الرخصة ، ولا يكون جانبا إيجابيا فى الاقتداء والاتباع .

١٠ — وللإمام بعض المؤلفات المخطوطة ، منها :

١ — هداية الوسيلة فى اتباع صاحب الوسيلة .

٢ — رسالة شاملة تتضمن البحث فى مسألتى القبض والتقليد .

٣ — شذور الذهب فى محض محقق النسب .

٤ — عجالة فى أول من ألف فى فن الحديث (تصلح لأن تكون مقدمة للموطأ) .

٣ ـ كفاح الإدريس فى سبيل بلاده[1]

(ا) هو السيد محمد إدريس نجل السيد المهدى السنوسى وحفيد السيد محمد ابن على السنوسى مؤسس الطريقة السنوسية ، الذى نما فرعه من الدوحة المحمدية الشريفة . ولد الملك المعظم فى العاشر من رجب ١٣٠٧ هـ ـ الموافق ١٢ مارس ١٨٩٠ م بمدينة الجغبوب ، وعند بلوغه السنة الخامسة وضعه والده فى الكفرة لتلقى علومه الأولى وهو طفل صغير ، ثم انتقل الوالد والابن إلى السودان سنة ١٣١٧ هـ . ولما توفى والده ساكن الجنان سيدى المهدى السنوسى قدس الله سره ، وكان عمر الإدريس العظيم اثنى عشرة سنة ، عاد وهو فى هذه السن إلى الكفرة لارتشاف مناهل العلم من حياضها والتفقه فى شتى العلوم .

وفى سنة ١٩١٤ زار الحجاز لأداء فريضة الحج ، وأنزله خديوى مصر عباس حلمى ضيفاً فى قصر رأس التين بالإسكندرية .

وعندما زار مكة كان موضع تكريم وإعزاز من الحكومة التركية وشريف مكة واستقبل وودع بما يليق به من إجلال . وعند عودته بويع بالإمارة فى برقة واتخذ اجدابية عاصمة لحكومته السنية وأنعم عليه سلطان تركيا برتبة الباشوية من درجة وزير مع النيشان العثمانى المرصع الرفيع الشأن ، وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى ، اشتدت الحالة فى برقة وطرابلس من جراء الحرب والقلاقل والفتن ، وكان الجهاد الليبى على أشده ، والكفاح ضد الاستعمار فى عنفوانه ، والكوارث تنهال على برقة نتيجة الجدب والقحط وغارات الجراد مع القتال الذى استمر سنوات ؛

---

(١) راجع كتاب الطيب الأشهب « إدريس السنوسى » ، والمعرفة عدد ٢٣ / ٤ / ١١٦٥ م .

من الأصل

فى النضال والكفاح وجاشت أرض برقة بالوقائع الحربية والحركات الوطنية ، وتأجج لظى الهيجاء بالكفاح السياسى ، وكانت إيطاليا قد أعدت قواتها الهائلة لاكتساح برقة بعد أن مارست الحروب بها سنوات طويلة ، وأعدت معداتها النهائية . وفى الوقت نفسه تحسنت صحة الادريس بما وجده من أطباء وأنواع العلاج المتوفرة فى مصر ، وكان ذلك فى سنة ١٣٤٢ هـ وقد استمر هذا الكفاح العظيم الذى يسجله التاريخ بمداد الفخر والشرف حتى سنة ١٩٣٩ م .

وجاءت الحرب العالمية الثانية فانتهز الإدريس فرصة طالما قضى الأيام والليالى مترقباً لها ، بل وقضى حياته العزيزة يهدف إليها وهى أمنية الأمانى وغاية الغايات والآمال .

وكان يوم ٩ أغسطس ١٩٤٠ يوماً مجيداً فى تاريخ ليبيا . فى هذا اليوم شرع إدريس العظيم فى إعداد جيشه وتكوينه بمصر بعــــد الاتفاق مع بريطانيا .

وفى هذا اليوم امتشق الادريس الحسام يخلص وطنه من الاستعمار ولينشىء دولة جديدة . لقد نهض نهضة من عرك الدهر واكتوى بصروفه وأحداثه ، هى نهضة الخبير المحنك الذى يحمل بين جنبيه قلباً ينبض بروح العروبة والإسلام .

وأخذ يهيب بالليبيين فى مصر داعياً للجهاد فيؤسس جيشه على البر والتقوى ويتقدم إلى ساحات الشرف فى ميدان القتال لاستخلاص وطنه .

وحلت الساعة المنتظرة ، وكانت ساعة مباركة على البلاد واستمرت الحرب فى برقة كما هو معروف سجالا بين جيوش المحور وجيوش الانجليز وجيوش سمو الأمير سنوات ، إلى أن ابتدأت واقعة العلمين الشهيرة ، وكان من جرائها انسحاب جيوش المحور إلى تونس نهائياً ؛ وفى ١٣ يوليو سنة

١٩٤٤ حل ركب سمو الأمير إدريس المهدى السنوسى بطبرق فى قطار خاص حربى فاستقبلته البلاد استقبال الملوك الفاتحين المنقذين ، وعمت البشائر والأفراح بصورة منقطعة النظير ، ودامت ليالى وأياماً . وقد مر على ليبيا كثير من الأحداث بعد ذلك وأعظمها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ القاضى بأن تكون ليبيا المتألفة من برقة وطرابلس وفزان ، دولة مستقلة وأن يتم الاستقلال فى وقت لايتأخر عن يناير ١٩٥٢ ، وفى يوم ٧ أكتوبر ١٩٥١ قررت الجمعية التأسيسية الموافقة على الدستور الليبى والذى نظم الحكم فى الدولة ، وقررت أن ليبيا دولة مستقلة نظام حكمها ملكى ونادت بسمو الأمير ملكا على ليبيا .

وقد ازدهرت فى عهده النهضة فى البلاد وتقدمت أحوال الشعب اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، وسار الاصلاح بخطى سريعة ، وبلغت المدن الخمس : طرابلس ، بنغازى ، البيضاء ، طبرق ، درنة . غاية من الرقى والتقدم والازدهار ، وبلغ عدد سكان الوطن الليبى فى أيامه وفق آخر إحصاء أجرى فى البلاد فى صيف عام ١٩٦٤، عدد ١٥٥٩٣٩٩ من الأنفس .

(ب) وعهد الإدريس العظيم (١٩١٨ - حتى اليوم) عصر ازدهار للأدب والشعر فى ليبيا العربية ، وينقسم هذا العهد إلى فترتين :

الأولى من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٥١ ، وهو عهد النضال الوطنى الكبير من أجل الحرية والاستقلال والتخلص من براثن العدو المحتل ، وعهد التضحيات الجسيمة من أجل نيل الحرية ، وفيه تغنى الأدباء والشعراء بآلام الوطن وآماله ، وبكفاحه وبطولاته ، سواء منهم من أقام فى أرض الوطن أومن هاجر إلى مكان آخر ، وحين بويع الإدريس أميراً للبلاد هنأه الشعراء (١) ، وفى كل مرحلة من مراحل هذا الكفاح الوطنى كان الشعراء

---

(١) ٤٢٩ برقة العربية للأشهب .

يلتفون حوله يجدون فيه رمز آمال هذا الوطن المفدى وبطولاته وانتصاراته .

والفترة الثانية من عام ١٩٥١ حتى اليوم وقد لقى الأدب والأدباء والشعر والشعراء فيها الكثير من الرعاية والتقدير والتشجيع ، ووجدوا مجالا فسيحا للكلام ، وميدانا خصبا للقول ، ورأوا بلادهم تنتقل إلى أيديهم ، وهم فيها يمشون عليها أحرارا ، ويتنقلون بين ربوعها كما يشاءون ، بعد أن كانت حجرا محجورا عليهم . وشاهدوا عهد البناء العظيم من أجل بلادهم ومستقبلها وآمالها ، وكل المجالات مفتوحة أمامهم : الصحافة والإذاعة والمنتديات الأدبية ، والمواسم الثقافية ، والحلقات الليلية ، المطابع تطبع دواوينهم ، والشعب يقبل على القراءة لهم . وحاكمهم من بينهم يحب لهم الرفاهية ، ويترك لهم حريتهم ، ويعمل من أجلهم ومن أجل الأجيال القادمة .

لذلك نهض الأدب وازدهر ، وكثرت حلقات الشعر ونواديه وطرائق نشره ، ومجالات إذاعته ، وأخذ الشعراء من جديد يحلقون فى مختلف الأجواء الشعرية أحرارا كما يشاءون، يلهمهم القول تاريخ مجيد ، وبطولات خالدة ، وجهاد وتضحيات طويلة ، وحاضر يفعم بالثقة والأمل .

والإدريس محب الأدب ، مقدر للشعر ، مشجع للشعراء ، طبع على تذوق الجيد البليغ من الكلام ، وورث ذلك عن آبائه ، واستحكمت فيه ملكات العربية طبعا واكتسابا معا . .

٣ – بناء الدولة الحديثة فى ليبيا[1]

فى ضحى يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ – وبالقاعة الكبرى فى « سرايا المنار العامرة » الجامعة الليبية الآن – بمدينة بنغازى الزاهرة ، وقف الإدريس يعلن للعالم قاطبة أن ليبيا ، نتيجة لجهادها ، وتنفيذا لقرار هيئة الأمم المتحدة ، الصادر فى الحادى والعشرين من نوفمبر ١٩٤٩م قد أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، فدوى نداء الإدريس المفدى فى الآفاق واستقبلته الأمة بمزيد الإعجاب، وبارك الأشقاء والأحرار الشرفاء فى كل مكان كفاح الليبيين ، وهكذا أعلن العاهل المحبوب وثيقة استقلال بلاده المكافحة ، فوضع بذلك نهاية لعهد ملىء بالمآسى والأتراح والآلام ، وبداية لعهد آخر زاهر باسم مشرق ، وفتح صفحة ناصعة فى تاريخ ليبيا فأسس دولة وكيانا ، دولة عربية مسلمة أفريقية ، تتربع على شواطىء البحر المتوسط ، وتسهم بدورها الإيجابى الفعال فى بناء الحضارة .

وكان هذا الإعلان ضربة أليمة لأولئك الذين كانوا يحيكون ضد ليبيا المؤمرات ، وكان (يوم الاستقلال) حدثا رائعا وفرحة كبرى لهذا الشعب الذى ذاق الأمرين ، وضحى بكل مرتخص وغال فى سبيل حريته واستقلاله .

هذا ولقد شارك الشعراء الليبيون فى فرحة الشعب بعيد الاستقلال ، وكان فى طليعتهم طيب الذكر شاعر الوطن الكبير المرحوم أحمد رفيق المهدوى، لحيا اليوم الأغر، بقصيدة عصماء تضم خمسين بيتا من الشعر الرصين منها قوله :

عيد عليه مهابة وجلال عيد وحسبك أنه استقلال

---

(١) عن برقة الجديدة ١٩٦٥/١٢/٢١ من مقال لجبريل الحاسى .

يوم عليه من السعادة بهجة ... وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيد فيه نالت أمة ... ملكا تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر دولة ... فأهل فى برج السعود هلال

ومن شعر أحد الشعراء العرب الأشقاء قوله :

لك المجد يا ليبيا فأنت جديرة ... بأن ترفعى رأس العروبة عاليا

وكفاح ليبيا مفصل من سنة ١٩١١ م حين هب الشعب العربى الليبى فى وجه الاحتلال الإيطالى يصد كيد الغزاة وصمد سنوات طويلة فى معركة التحرير وقدم على مذبح الحرية المقدسة ألوف الضحايا ، والتحم مع الأعداء فى معارك عديدة ، وألحق بهم الخسائر الفادحة فى الأرواح والممتلكات ، وضحى بالنفس والنفيس فى سبيل أن يحيا حياة العزة والحرية والكرامة، ولما استشهد البطل الشهيد عمر المختار عام ١٩٣١ خضعت البلاد - بصورة مؤقتة - للاستعمار وارتكب المستعمر من الفظائع الشىء الكثير ، مما يندى له جبين الإنسانية ، وزج بالأحرار فى غياهب السجون ، ووراء أسلاك المعتقلات ، ولما اندلع لهيب نار الحرب العالمية الثانية ، خاض شعب ليبيا غمارها إلى جانب الحلفاء بقيادة الإدريس المعظم وتحت راية « الجيش السنوسى » .

وقررت الأمم المتحدة الاعتراف باستقلال ليبيا فى يوم النصر - ٢١ نوفمبر - من سنة ١٩٤٩ م ، وتشكل المجلس الاستشارى الدولى للإشراف على نقل السلطات من الإدارات العسكرية (الأجنبية) إلى حكومة ليبية مؤقتة ، وتم وضع الدستور الليبى من قبل الهيئة التأسيسية - أو جمعية الستين - وأعلن الاستقلال فى ٢٤ ديسمبر من عام ١٩٥١ م ، وانضمت ليبيا إلى الجامعة العربية ، والمنظمات الدولية فيما بعد ، وأخذت تسير فى طريق النهضة والبناء بخطوات وئيدة ، وقد شاءت العناية الإلهية أن تمن عليها بخيرات أرضها ، فتفجرت ينابيع البترول ، لتبعث الرخاء والرفاهية والازدهار فى ربوع

هذا الوطن العربي ، ولتعوض شعبه الطيب ما افتقده إبان سنوات الكفاح والجفاف ، وقد استغلت ثروته القومية في تدعيم نهضته في مختلف قطاعات الحياة : التعليمية ، والصحية ، والزراعية ، وغيرها من المشروعات والمخططات النافعة ، وأنشئت الجامعتان الليبية والإسلامية وكليتا الدراسات الفنية العليا ، والمعلمين العالية ، وأرسلت البعثات الطلابية إلى الخارج ، وفتحت المعاهد الدراسية المختلفة في طول البلاد وعرضها ، وتأسس الجيش وسلح ، ودعمت قوة الأمن العام ، ونهضت الزراعة ، والصناعة ، وشقت الطرق وفتحت مختلف المشاريع في شتى أنحاء المملكة الناهضة ، واشتركت البلاد في مختلف المؤتمرات الإقليمية والعربية والعالمية، وأسهمت بدورها في أعمالها وكانت لها مواقفها في مؤتمرات القمة العربية بالقاهرة والإسكندرية والدار البيضاء ، ومؤتمر دول عدم الانحياز ، ومؤتمرات منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا وأكرا ، إلى غير ذلك من المؤتمرات في الشرق والغرب :

أمة تنشىء الحياة وتبني كبناء الأبوة الأمجاد

وبعد أكثر من عشر سنوات من تجربة (النظام الاتحادي ـ الفيدرالي) عدل الدستور مرتين : الأولى كخطوة أولى ، وبموجبه آلت العديد من الاختصاصات إلى الحكومة المركزية ، واستحدث نظام المجالس الإدارية ثم عدل الدستور للمرة الثانية ، وبهذا التعديل الآخر ألغي النظام الولائي ، وأعلنت الوحدة الكاملة الشاملة في ٢٦ أبريل سنة ١٩٦٣ م .

وهكذا تحققت أمنية شعب ليبيا في وحدة اندماجية تامة ، وحددت الاختصاصات ، وتلاشى ـ إلى غير رجعة ـ نظام الإقليمية البغيض ، وصارت ليبيا دولة موحـــدة ، وقد تحقق بذلك ما أشار إليه رفيق في قوله :

تعديل دستورنا فرض يحتمه   مافد وجدناه فيه غيرُ متفق

وفعلا عدل الدستور ، وأصبحت الوحدة حقيقة واقعة ، وسارت الأمور بعد ذلك على خير مايرام ، فصدر قانون الإدارة المحلية ، وقانون الخدمة المدنية ، وبرز إلى الوجود مشروع إدريس الإسكان ، وعدل قانون البترول بما يضمن للشعب حقوقه كاملة غير منقوصة ، ووضع حدا للتلاعب بمقدراته ، وحرص على حسن استغلال ثروته الوطنية ، لتسهم فى رفاهية الشعب وازدهاره ، وتقف ليبيا العربية موقفا مشرفا من قضية فلسطين وغيرها من القضايا العربيـــة . كوقفها الرائع من مشكلة روديسيا ، وتضامنها مع مقررات مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية .

وهكذا تم بناء الدولة الحديثة فى ليبيا بفضل الإدريس وتوجيه وبفضل مثابرة الشعب وتصميمه على النضال من أجل حريته ومستقبله .

ومن كلمة للإدريس العظيم بمناسبة إعلان الوحدة :

« فى هذه اللحظات التاريخية التى تمر بها أمتنا المجيدة ، وفى هذه المرحلة الهامة التى يجتازها ركبنا الصاعد، يسرنى غاية السرور أن أعلن للشعب الليبى الكريم انتهاء العمل بشكل الحكم الاتحادى والبدء رسميا فى نظام الوحدة الشاملة الكاملة تطبيقا للتعديل الدستورى الذى وافقت عليه المجالس النيابية والتشريعية بالإجماع ، وإنى لأحمد الله تعالى كثير الحمد وأتوجه إليه بالشكر العظيم والثناء الجميل على مامن به على سبحانه وتعالى من نعمة حتى شاهدت ولادة هذا الأمل الوطنى الكبير ، ووفقنا جميعا بتأييده وعونه إلى تحقيق هذه الأمنية الغالية .

إن الوحدة التى نبدأ اليوم عهدها الميمون هدف جديد من أهدافنا الوطنية التى جاهدنا من أجلها وضحى شعبنا فى سبيلها، فهى ثمرة طيبة للجهاد ووفاء لأجر الصابرين ، وهى بعد ذلك خير وبركة ، ورمز لاجتماع الكلمة

وتآلف القلوب ووعاء المحبة والتآخي والوئام ومبدأ يتبوأ مكان السمو في عالم الأخلاق والفضيلة وحبل الله المتين الذي أمرنا سبحانه بالاعتصام بعروته الوثقى .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»، وهو الدين القويم دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . . وقال «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، فالحمد لله الذي جمع على المحبة قلوبنا ووحد على الوفاق بلادنا ، وجعلنا من أمة التوحيد التي هي خير أمة أخرجت للناس . . وإني لأنتهز فرصة إعلان الوحدة المباركة السعيدة فأوصيكم جميعا بتقوى الله تعالى ومراعاة وجهه في السر والعلن .

وأحثكم على مضاعفة الجهد وبذل المزيد من العمل ، حتى نوفر لبلادنا الازدهار والرخاء والرفاهية، ونعيش جميعا في ظل الوحدة أمة قوية في خلقها عزيزة في شخصيتها متينة في بنائها نظيفة في سمعتها .

إن الوحدة تلقى على كواهلنا مسئوليات جساما وتضع نصب أعيننا واجبات كثيرة . . فعلينا أن نكون جديرين بها ونحافظ على استقلالنا ونحوطها بالرعاية والحدب ، ونغذيها بمشاعر المحبة والوطنية حتى تستمر دائبة السير في طريق النمو والاكتمال » .

٤ ــ الزوايا السنوسية

وركز الإمام رضى الله عنه وسائل عمله فى (الحجاز) بإنشاء أولى المراكز الإصلاحية هناك وهى زواية (أبى قبيس) ثم ألحق هذا المركز بمراكز إصلاحية أخرى فى مختلف البلاد الحجازية، وأقام عليها من تلاميذه الأفاضل من يقوم مقامه فى أداء هذه الرسالة . ووصل إلى ليبيا فبنى بها أولى المراكز الإصلاحية (الزاوية البيضاء) أى زاوية البيضاء، ثم باشر فى إنشاء عدد كبير من هذه المراكز فى برقة وفزان وطرابلس .. وكان فى هذه الأثناء مهتما بإصلاح حال المسلمين على أوسع ما يمكن .

ولقد جاء فى أحد كتبه إلى حاكم (برقة) العثمانى ــ محمد صالح باشا : « رتبنا لكل واحد ــ وكان يعنى الزوايا ــ خليفة يقوم فيها بما ذكر من الجمعة وتعليم القرآن ودرس العلم، ودلالة الخلق على علم دينهم وعودتهم إلى ربهم .. إلى أن قال : وبذلك تبتهج الأرض حولها بأنواع الأشجار ويكثر بها السكان، لكثرة الثمار، وتنتشر العمارة وتتسع الإدارة » .

ويفسر الإمام معنى الزاوية فيقول فى كتاب كان قد بعث به إلى حاكم فزان العثمانى مصطفى باشا : « والزاوية فى الحقيقة هى بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده » ...

ويقول أيضا : « والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة والبادية لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان » . وفى فقرة أخرى من كتاب له ــ رضى الله عنه ــ كان قد بعث به إلى والى طرابلس العثمانى وكان المشير محمد أمين باشا قال فيه :

« .. وأما نحن فقد ألفنا ما اعتدناه ورضيت به نفوسنا فنريد بذلك أن

تكون تلك العمارة مستمرة ، ونفوس سكانها مستقرة ليحصل المقصود منها ويدوم من تعلم العلم وتعليمه ، وإقراء القرآن وتفهيمه ، وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها » .

والزوايا السنوسية بقدر ماتهتم بالعلوم النظرية والدراسة العملية من أمور الدنيا تهتم أيضا بالتربية الروحية ورياضة النفس ، تبعدها عن الرذائل المادية وتقربها إلى عالم الروح والصفاء .

وقد اهتمت الزوايا السنوسية بالشئون العامة كالصناعة والزراعة وتنظيم الأعمال ولم تهمل هذه النواحى أو تترك شأنها ، والدين يحث على العمل ورغب فيه . والله يحب الإنسان المحترف ويكره الخامل العاطل .

فأخذت الزوايا السنوسية على عاتقها مهمة التوجيه والإشراف على الصناعة والزراعة لتسد حاجة البلاد ولا تكون عالة على الغير ، وقد تفنن الإخوان السنوسيون فى الصناعة المعروفة فى زمنهم . . وعندما بدأ الغزو الإيطالى البلاد رفع الإخوان راية الجهاد مستعملين الآلات الحربية التى صنعوها بأيديهم .

زاوية البيضاء

اجتمع لمنطقة الزاوية البيضاء الكثير مقومات العمران . فتوسطها للجبل الأخضر أكسبها خصوبة تربة وطيب مناخ وعذوبة ماء . مما كان حافزا لتجمع القبائل حولها ، وتنافسهم على حيازتها . ومر الإمام محمد ابن على السنوسى بهذه الناحية أثناء طوافه فى البلاد الإسلامية ، فلمس بنفسه حاجة أهلها إلى التعليم الدينى حتى ينصلح حالهم .

فألقى عصا التسيار بينهم ، وشرع فى تأسيس زاويته الأولى بالأراضى الليبية عام ١٢٥٧ هـ ومن ثم أطلق عليها (الزاوية الأم) .

وتوفر الإخوان المصاحبون للإمام على البناء ، فابتنوا مسجداً لإقامة الشعائر الدينية وألحقوا به الخلاوى للطلاب ومقرأة للقرآن . ومسكناً لإمام الزاوية .

وألحق الإمام بالزاوية (معهداً علمياً) يتعلم فيه الكبار العلم ويحفظ الصغار القرآن ، وأصبحت الزاوية حرماً آمناً يحتمى بحماه الضعفاء ، ويلجأ إلى عدالته المتقاضون وفى ساحته تفض الخصومات ، وكان لهذا النجاح الذى حققته الزاوية البيضاء أثره البليغ فى نفوس الناس جميعاً ، فانتشر خبر الامام وعمت الدعوة السنوسية القطر الليبى ، وتوافد الأهالى يبدون استعدادهم لانشاء الزوايا ووقف أملاكهم على عمارتها والانفاق عليها .

وظلت الزاوية البيضاء مركزاً رئيسياً للدعوة السنوسية ، إلى أن توجه الامام نحو الأراضى الحجازية لتفقد زواياه ، هناك ، فانتقلت القيادة إلى زاوية (أبى قبيس) بانتقال الامام إليها . وفى عام ١٢٧٠ انتقلت القيادة إلى زاوية (العزيات) ثم استقرت أخيراً عام ١٢٧٣ هـ فى زاوية الجغبوب .

ولما هاجم الايطاليون الأراضى الليبية ،وجدوا المقاومة العنيفة المستميتة تطلع عليهم من الزوايا السنوسية . وإن هى إلا قواعد حربية ، يتمركز فيها الاخوان ، ويتزودون منها بالرجال والعتاد ، فصبوا عليها جام غضبهم واختصوها بالتخريب والتدمير ،وغيروا معالمها ، واتخذوا منها استحكامات حربية لجيوشهم .

وكان نصيب (الزاوية الأم) من هذا الافساد أن لحق بها مالحق أخواتها ، فجعلوا فناء المسجد والخلاوى مربطاً للخيول والبغال ، ومصلى المسجد مخزناً لعلفها ، وهدموا المعهد ، وظلت الزوايا السنوسية مهملة طيلة احتلال الايطاليين .

ولما تم إجلاؤهم عن الأراضى الليبية ، وحصلت البلاد على الاستقلال

التام ، توجهت نية الملك إدريس إلى تجديد الزوايا وبعث النشاط فيها ، حتى تعاود مهمتها فى التوجيه والاصلاح ، واختص (أم الزوايا) بمزيد من الرعاية ، لجدد معهدها الدينى ، وشاده على النظم الهندسية الحديثة ، وألحق به قسما داخليا للطلاب ، ودوراً للمعلمين .

وبعد أن انتزعت البلاد استقلالها ، اتجه عاهل المملكة الليبية المتحدة محمد الادريس الأول إلى رعاية آثار جده الامام السيد محمد بن على السنوسى .

لجعل من الزاوية الأم فى البيضاء نواة لجامعة إسلامية كبيرة ، وفى يوم الأحد الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ . الموافق (٣٠ من نوفبر سنة ١٩٥٢ م) تفضل الادريس فى احتفال كبير ، بافتتاح المعهد الدينى ، وأطلق عليه اسم الامام الأكبر تخليدا لذكراه .

وتولت إدارته والاشراف عليه نظارة المعارف من لدن افتتاحه حتى عام ١٩٥٥ م . حيث صدر مرسوم ملكى بمقتضاه أصبح المعهد مستقلا فى إدارته ، وميزانيته ، تحت إشراف مجلسه الأعلى برئاسة شيخ المعهد .

وفى عام ١٩٥٦ م صدر قرار يخول له فتح فروع فى الولايات الثلاث .

وفى يناير ١٩٥٧ م . ضم إلى إدارته معهد سيدى عبد السلام الأسمر بزليتن ، وكذلك ضم إلى إدارته أيضا معهد أحمد باشا بطرابلس .

وفى ١٠ يونيو ١٩٦٠ م افتتح معهد سبها الفرعى بولاية فزان .

وسار المعهد متخذا سبيله نحو التطور بخطى واسعة تتسم بالجرأة والتقدم ، ففى العام (١٩٦١م) تم افتتاح معهد غريان بمدينة غريان ، من ولاية طرابلس ، كما تم افتتاح معهد الزاوية الغربية بطرابلس أيضا ، ومعهد درنة بولاية برقة .

والفروع الجديدة تنتشر فى شتى أنحاء المملكة ، وبجانبها المدارس القرآنية

لتكون روافد تغذيها بالطلاب من حفظة القرآن الكريم ، وقد بلغ مجموع الطلاب المنتسبين فى مختلف الفروع بما فيهم طلاب المدارس القرآنية نحوا من ٧٥٠٠ طالب .

وبذلك ، حقق هذا المعهد تقدما ملحوظا فى نشاطه التعليمى فى مراحله المختلفة ، مما جعله فى مصاف المعاهد الدينية الكبرى ذات الصبغة الجامعية .

وكان لابد من اتخاذ خطوة كبرى ترفع من شأن هذه المعاهد وتوسع من آفاقها المختلفة وتعمل على تعميم رسالتها لتكون منارا هاديا فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ومصدر إشعاع قوى باهر ، فكانت الخطوة المباركة هى إعادة تنظيمه فى ضوء الظروف الجديدة بتحويله إلى جامعة إسلامية واحدة ، لها نفس المهام والأغراض ودعم أقسامها المختلفة حتى تنهض برسالتها السامية ، فى نشر الثقافة الإسلامية ، وإحياء العلوم الدينية . والعمل على توثيق الروابط العلمية والثقافية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية .

ويصف الأمير شكيب أرسلان الزوايا السنوسية والواجبات المنوطة بكل زاوية وصف العليم الخبير ، فيقول رحمه الله : الزاوية فيها مقدم هو القيم عليها وهو الذى يتولى أمور القبيلة . ويفصل الخصومات بينها . ويبلغ الأوامر الصادرة من السيد السنوسى ، ويليه وكيل الدخل والخرج وإليه النظر فى زراعة الأرض وجميع الأمور الاقتصادية . ومن عادتهم أن على كل فرد من أفراد القبيلة أن يتبرع بحراثة يوم ، وحصاد يوم ودراسة يوم . فى أرض الزاوية ، فلذلك يسهل عمران الزاوية بدون نفقة كبيرة . ثم هناك الشيخ الذى يقيم الصلاة فى مسجد الزاوية ، ويعلم أحداث القبيلة القراءة والكتابة ، ويعقد فى القبيلة عقود النكاح . ويصلى على الجنائز الخ . . والزوايا السنوسية هى الملاجىء الوحيدة فى الصحراء للمسافرين والتائهين والواردين والشاردين . ولا يوجد هناك

مساكن مبنية بالحجر غيرها وقد سرنا فى طريقنا إلى جهاد ليبيا نحو شهر من ظاهر اسكندرية عند منتهى الخط الحديدى حيث زاوية سيدى هارون القناشى إلى موطن الحرب بسهل الفيض أمام مدينة بنغازى . فكنا بعد كل مهلة ثلاث ساعات أو أكثر نجد زاوية سنوسية (١) ، هذا عدا زوايا كثيرة ليست مصاقبة للطريق السلطانى . فإن لكل قبيلة زاوية هى مرجعها فى الدين والدنيا وإذا تعددت فروع القبيلة كالعبيدات مثلا فلكل فخذ منها زاوية . فلعائلة منصور زاوية . ولعائلة مريم زاوية ، ولعائلة جازية زاوية وللبنان زاوية وللمواكلة زاوية . وهلم جرا . وإن الغريب أو السابل أو الفقير المعتر لينزل بزاوية من هذه الزوايا فيقيم ما يشاء . ويتضيف ما يشاء . ولا يسأله أحد عن شىء، وأغلب هذه الزوايا مختار لها أجمل البقاع وأخصب الأرضين وفيها الآبار التى لا تنزح من كثرة مائها . وفى الجبل الأخضر هى بجانب عيون جارية . وأنهر صافية كزاوية مارة وزاوية مرتوبة وزاوية أم الرزم بقرب درنة وزاوية شحات فى مدينة سيرينا القديمة الخ . . وأينما حل السنوسية عمروا وثمروا . . ووجدت الأرض اهتزت وربت . وأنبتت من كل زوج بهيج ، وقل إن مررت بزاوية ليس لها بستان أو بساتين فيها من كل أنواع الفواكه والثمار . وأصناف البقول والخضرة . يزيد قيمتها مصادفة الانسان لها فى تلك البقاع القاصية عن العمران المحفوفة بالفلوات . وقد قيدت فى دفتر عندى يحتوى معلومات كثيرة على برقة أسماء نحو ١٢٠ زاوية سنوسية فى تلك الديار وما جاورها إلى السودان وليس ذلك العدد هو كل ما عندهم من الزوايا(١) .

---

(١) شكيب أرسلان والقضية الليبية لمحمد رجب الزائدى ص ١٨ ـ طبعة ١٩٦٤ ، مكتبة الوحدة العربية لصاحبها حسن على الخراز بالبيضاء .

مدرسة جغبوب وأثرها الروحى

ظهر (١) أثر مدرسة الجغبوب جليا واضحا فى مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والدينية حيث أحدثت فى ربوع هذه البلاد نهضة شاملة وكانت بمثابة القيادة العليا والمركز الروحى الذى أحال تلك الصحارى الجدباء إلى واحات غناء عامرة بالسكان والرواد تضىء فيها مصابيح المعرفة وقد قضت على روح التنافر والعداء المستحكم الذى كان سائدا بين تلك القبائل ويظهر فى ضراوة دموية كثيرا ماتندلع لأتفه الأسباب وتبدلت تلك الطباع الجافية الغليظة ولانت شكيمة القبائل وهدأ روعها وامتد شعاعها الوضاء متغلغلا فى أواسط إفريقيا يغمر أحراشها المظلمة وينتشل قبائلها التائهة فى مهامه الضلال من براثن الوثنية إلى حظيرة الإسلام .

ومن آثار حركة الجغبوب الروحية هذه مايلى :

١ — غرست فى نفوس طلابها وروادها القيم الفردية والجماعية للحرية الانسانية فى أسمى معانيها لأن الإسلام فى جوهره يحارب الاستبداد والاستغلال وإيذاء الانسان لأخيه الإنسان ، ولقد رأت هذه الدعوة مايعانيه الأرقاء من نير العبودية وفظاعة النخاسين فاشترت جموعا كثيرة من هؤلاء « العبيد » وأعتقتهم فأصبحوا فى ظلال هذه الدعوة أحرارا كرماء وقد كان لهم بعد عتقهم أثر ملحوظ فى نشر هذه التعاليم التى غذاهم بها الإمام رضى الله عنه كما ضربوا بسهم وافر فى النهضة العمرانية والاقتصادية فأصلحوا الأراضى وأقاموا البناء وتفننوا فى الصناعات اليدوية .

٢ — كما كانت مدرسة الجغبوب إلى جانب رسالتها الفكرية والاجتماعية بمثابة مدرسة حربية يمارس فيها المواطنون ضروب التدريب العسكرى

---

(١) عن كتاب أصدرته الجامعة الإسلامية عن نشاطها .

كالرماية وركوب الخيل ، واستعمال مختلف أنواع الأسلحة ومعرفة طرق تركيبها وإنتاج الذخيرة الحية استعدادا للمفاجآت التى كان يخشى مغبتها الإمام رضى الله عنه ، وقد أثبتت الحوادث صدق حدس الامام وصائب آرائه ، وكان لهذه الاستعدادات الفضل فيما أحرزه الجندى الليبي من انتصارات باهرة فى الحروب التى خاضها ضد قوى البغى والعدوان .

٣ — ولم تنس هذه المدرسة مايجب عليها نحو المرأة المسلمة فقد أولت حقوقها العطف والرعاية وعملت على إنقاذها من مهاوى الجهل المطبق والنزعات البدائية ، فكانت المرأة السنوسية تتلقى دينها إلى جانب تحفيظها القرآن الكريم ،ولعل من الحوافز التى دفعت الامام إلى عنايته البالغة بالمرأة ماكانت تغمره به عمته الفاضلة أثناء نشأته العلمية من توجيه وإرشاد .

٤ — وتبعا لهذه الحركات الاصلاحية أصبحت الجغبوب كعبة الزوار والرواد ومركزا هاما لالتقاء القوافل الذاهبة والآيبة فقد خلق منها موقعها الاستراتيجى حلقة اتصال لطريقين مهمين أحدهما لقوافل رواد شمال غربى أفريقيا والآخر تجارى يربط سواحل البحر الأبيض المتوسط بالواحات الداخلية المنتشرة فى جوف الصحراء وكان لبعدها عن المناطق الساحلية أن ناءت مطامع أصحاب النفوذ وعزت عن متناول يدهم وأضحى جانبها محترما مهابا من الجميع حتى إن قطاع الطرق ولصوص القوافل استحالوا إلى حماة لها أدلاء مرشدين ، وأصبح الفرد يرود تلك الفيافى آمنا مطمئنا لايخاف أهوال الطريق أو عناء السفر .

٥ — عملت مدرسة الجغبوب على تكوين الأسرة الصالحة وشجعت على الاكثار منها،وكان الاخوان السنوسيون إذا أقدم شاب منهم على الزواج تفانوا فى خدمته أسهموا فى تركيز دعائم البيت الهنىء له .

٦ — غرست فى الطلاب روح البحث والتنقيب وجوب الأنظار

للاطلاع ونقل المخطوطات والوثائق الهامة كما حببت إليهم الانتاج والتأليف حتى أصبحت مكتبتها زاخرة بأنفس ما أنتجه العقل الاسلامى فى ذلك الوقت مما جعلها تضاهى أندر المكتبات فى الشرق ، ولكن الاستعمار الايطالى البغيض أغاظه أن تظل هذه المنارة الفكرية ترسل نورها فى قلب الصحراء فدهمها فى يوم ٧ فبراير عام ١٩٢٦ وعاث فيها نهبا وإحراقا محاولا القضاء على رسالتها ونفوذها النظرى والتنظيمى ولكن شاء الله أن تصمد هذه المدرسة المباركة للأعاصير والعواصف لم ينل من كيانها كيد الكائدين ولم يثنها عن أداء رسالتها وعيد الغاصبين . . وظلت ثابتة الدعائم ويرقد تحت ظلها الوارف مؤسسها صاحب الدعوة رضى الله عنه تدوى فى أرجاء ضريحه الطاهر أصوات مليئة بالرنين المقدس مفعمة بروح الايمان .

المعهد الأسمرى

أول معهد فى المملكة الليبية ، وكان يعرف بزاوية الشيخ أسسه العارف بالله سيدى عبدالسلام الأسمر سنة ٩٧١ﻫ فى مدينة زليتن، أوقف عليه أملاكه وجهوده ، واقتفى سيرته أولاده وأحفاده من بعده والغرض من إنشائه أن يكون مسجدا جامعا يؤدى الناس فيه الصلاة ، ويحفظ الصبيان القرآن الكريم ، ويتلقى الطلبة العلم . وكان له الفضل فى تغذية البلاد بالعلماء والقضاة الشرعيين ، وطريقة الدراسة فيه على نمط القسم العام بالأزهر الشريف ، حيث يختار الطالب شيخه ، ويدرس العلم الذى يهواه لذات العلم .

ويقوم بالتدريس فيه علماء من خريجيه أو من العلماء الوافدين . وتجرى الأرزاق على طلابه وعلمائه من ريع أوقافه وكان لعلمائه وطلابه مواقف وطنية تتسم بالجرأة والفداء . حين صمدوا للغزو الايطالى ، وقاوموا فرض الجنسية الايطالية على الوطنيين ، وتعرض هذا المعهد أثناء الغزو الايطالى

للتخريب . فانتهك الإيطاليون قدسيته ، وحرقوا مكتبته ، واضطهدوا علماءه، ولكنه استمر فى أداء مهمته الدينية والوطنية، ولم يفلح الايطاليون فى تغيير برامجه ومناهجه لصمود أهله وعلمائه وتم انضمام هذا المعهد إلى جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية فى يناير ١٩٥٧ م . وبذلك دخل المعهد الأسمرى فى طور جديد ، يتسم بطابع المعاهد الدينية التابعة لجامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية ، من حيث المناهج والادارة .

وبفضل رعاية المسئولين ، تمت به المنشآت المدرسية الحديثة . وألحق به قسم داخلى ، ينعم فيه الطلاب بمزايا كثيرة .

والمعهد الأسمرى يتكون من ثلاثة أقسام : ابتدائى وإعدادى وثانوى، وبه مدرسة للقرآن الكريم .

وللمعهد نشاط عام ناجح تحدثت عنه الصحف . ويتمثل فى مجالات الثقافة والاجتماع والرياضة والكشافة . ويقوم الطلاب بتحرير صحيفة حائطية نصف شهرية ، مزودة بالرسوم والصور ، وأخرى شهرية تبرز نشاطهم وتنمى هواياتهم . كما أن فريق التمثيل بالمعهد يعتبر الأول من نوعه بالمعاهد الدينية بالجامعة . ومسرحياته تدور حوادثها حول الشخصيات الدينية ، والمعانى الاسلامية ، يتخللها الترويح البرىء .

معهد احمد باشا

أنشأ هذا المعهد أحمد باشا (القره مانلى) الحاكم التركى الأصل (١٧١١ - ١٧٤٥) وكان يطلق عليه (كلية أحمد باشا القره مانلى) وظلت الدراسة تسير فيه على النظام القديم ، كما هو الشأن بالنسبة لكثير من المعاهد الأهلية العلمية فى الأقطار الاسلامية آنذاك ، فالمناهج المتبعة عبارة عن كتب معينة تمثل مستويات الطلبة ، كل يدرس ما يلائم استعداده الفطرى ، ويوائم حصيلته

من المعارف والعلوم ولم يكن المعهد فى وضعه السابق يمنح شهادات رسمية للطلاب الذين يتمون دراستهم فيه . وفى سنة ١٩٥٠ م . أدخل عليه شئ من التنظيم ، فقد استبدلت الدراسة بالمعهد على شكل حلقات، بالمقاعد المدرسية المعروفة ، وقسمت سنوات التعليم إلى مرحلتين : ابتدائية وثانوية .

وفى شهر يناير ١٩٥٧ م . تم رسميا انضمام هذا المعهد إلى معهد السيد محمد ابن على السنوسى فى البيضاء (جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية) الآن . وأصبح بعد انضوائه يحمل اسم (معهد أحمد باشا الدينى) بدلا من « كلية أحمد باشا القره ملى » وسرعان مابدأ المعهد ينمو نموا سريعا مطردا ، تبعا لمختلف فروع معهد السيد محمد بن على السنوسى ، وبعد شهور قليلة من انضمامه تم نقله من مقره الصغير (بسوق المشير) إلى مقره الحالى بمنطقة (الظهرة) وألحق به قسم داخلى يتألف من ٣٣ (عنبرا) للنوم مزودة بالأسرة والبسط والأغطية ، لايواء الطلبة ، وتوفير الغذاء اللازم لهم ، وتقديم خدمات مختلفة مما يتيح لهم التفرغ للدراسة والتحصيل .

وقفز معهد أحمد باشا الدينى قفزة كبرى ، فى الأعوام القليلة التالية ، منذ انتظم فى سلك « جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية » ولم تكن تلك القفزة مقصورة على الجانب الدراسى فحسب ، بل إنها شملت كذلك الجهاز الادارى ، الذى أصبح يتمتع بقـــدر كبير من الخبرة والكفاية .

٥ ـ جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

- ١ -

تقوم في العالم العربي اليوم جامعات إسلامية سامقة ، بعض منها أنشئ منذ قرون طويلة : كجامعة الأزهر (٣٦١ هـ : ٩٧٢ م) ، وجامعة القرويين (٢٤٥ هـ : ٨٥٦ م) وجامعة الزيتونة ، وجامعة النجف الأشرف ؛ والبعض الآخر قام منذ أمد قصير : كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة أم درمان الإسلامية ، وجامعة السيد محمد بن علي السنوسي ؛ هذا كليات الشريعة التي أنشئت في بعض العواصم العربية منذ أمد قصير : ككلية الشريعة في بغداد ، وفي الرياض ، وفي مكة المكرمة ، وفي دمشق ، وفي عمان .

وتنتسب جامعة السيد محمد بن علي السنوسي البيضاء بالمملكة الليبية إلى عميد الأسرة السنوسية العلوية ، الإمام محمد بن علي السنوسي ، جد الملك محمد الإدريس المهدي ملك المملكة الليبية .

وكان الإمام محمد بن علي رائدا من رواد الإصلاح الديني في القرن الثالث عشر الهجري ، وصاحب دعوة من دعوات التجديد الإسلامي في العصر الحديث ؛ وقد ولد في مدينة «مستغانم» بالجزائر في يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول عام ١٢٠٢ هـ : ٢٢ من ديسمبر ١٧٨٧ م ، ونشأ في بيت علم ودين ، وتوفي والده شابا بعد عامين من ميلاد ابنه محمد بن علي ، فكفلته عمته السيدة فاطمة ، وهي من فضليات النساء في عشيرتها ، غزارة علم ، وقوة دين ، وسماحة خلق . وحفظ القرآن الكريم ، ثم أخذ يدرس علوم الشريعة واللغة والتصوف والمذاهب الإسلامية وسواها من ألوان الثقافة الدينية الذائعة في عصره ؛ ثم بدأ يطوف بالعالم الإسلامي ، ويقابل علماءه ومفكريه ، وخلال ذلك تمكن من الاطلاع على الأحوال العامة والخاصة

للشعوب الإسلامية ، ومن التعرف إلى المصلحين من أعلام الإسلام وحملة رسالته .

ولم يكن أحب إلى قلبه من السعى فى جمع كلمة المسلمين ، وتقوية أواصر المحبة والتعاون بينهم ؛ وقد ذهب إلى أن ذلك لايتحقق إلا عن طريق المؤتمرات الإسلامية ، واجتماع علماء المسلمين وذوى الرأى فيهم من حين إلى آخر للتشاور فى مختلف الشئون ، ووضع الحلول العملية لمشكلاتهم على ضوء أحكام الشريعة السمحاء .

وكان يرى أن العالم الاسلامى لايزال مفتقرا إلى مرشد حقيقى يكون هدفه سوق المسلمين أجمع إلى غاية واحدة ، ونحو غرض واحد ، وكان همه تربية أجيال جديدة من الشباب الاسلامى تربية دينية وروحية صافية ، حتى تستطيع أن تبنى بلادها . ولذلك أنشأ عشرات الزوايا التى كان يعلم الناس فيها أصول الدين وأحكامه وآدابه وأخلاقه . ومن أولى هذه الزوايا الزاوية البيضاء (أوالزاوية الأم)، وقد أنشأها فى شوال ١٢٥٨ هـ - ديسمبر ١٨٤٢ م . ثم أنشأ زاوية فى جغبوب عام ١٨٥٦ ، كان لها أثرها فى التوجيه الدينى ، واختار جغبوب مركزا رئيسيا للدعوة السنوسية ، عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م وأسس بها معهدا علميا ينتسب إليه المتخرجون من كتاتيب الزوايا ، ليدرسوا فيه العلم ويتدارسوه ، وتخرج منه الكثير من العلماء والشعراء وحفظة القرآن الكريم ، وألحق به مكتبة حافلة بالكتب العربية المطبوعة والمخطوطة ، وتوفى الامام يوم الأربعاء التاسع من صفر ١٢٧٧ هـ : السابع من سبتمبر ١٨٥٩ م تاركا وراءه دعوة إسلامية يرعاها أبناؤه وأحفاده ، وثروة علمية فى مؤلفاته الكثيرة التى خلفها ، ومنها : المسائل العشر ، إيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن ، الدرر السنية فى أخبار السلالة السنوسية ، الشموس الشارقة ، وغيرها .

— ٢ —

ولما تولى حفيده محمد الادريس المهدى السنوسى حكم ليبيا ، بعد زعامة الدعوة السنوسية ، اتجه إلى رعاية العلم فى بلاده ، فجعل من الزاوية البيضاء نواة لجامعة إسلامية ، إذ أنشأ فيها معهدا دينيا افتتحه فى ٣٠ من نوفمبر عام ١٩٥٢ ، وأطلق عليه اسم جده الامام الأكبر ، تخليدا لذكراه ولمآثره ، وفى يناير ١٩٥٧ ضم إلى إدارته معهد عبد السلام الأسمر بزليتن ، ومعهد أحمد باشا بطرابلس ، وفى يونيو ١٩٦٠ أنشأ معهد سبها بولاية فزان وضمه إلى إدارة معهد البيضاء كذلك .

وكان لابد بعد ذلك من اتخاذ خطوة جديدة لرفع شأن هذه المعاهد ، وتوسيع نطاقها وتعميم رسالتها ، فأعيد تنظيمها ، وصدر بذلك مرسوم ملكى بتاريخ ١٩ من جمادى الأولى ١٣٨١ ﻫ : ٢٩ من أكتوبر ١٩٦١ ، حيث تضمن إعادة تنظيم المعاهد الدينية تحت لواء جامعة إسلامية ، يكون نواتها معهد السيد محمد بن على السنوسى الدينى فى البيضاء ، الذى هو امتداد لجامعة الجغبوب العتيدة ، وضمت المعاهد والمدارس والأقسام التابعة لهذا المعهد إلى الجامعة الجديدة ، التى أطلق عليها اسم « جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية » ، وأرادها الملك الادريس أن تساير ركب التقدم العلمى ، وتحقق نجاح النهضة الدينية فى هذا البلد الاسلامى العريق ، كما جاء فى خطاب العرش عام ١٣٨١ ﻫ - ١٩٦١م ، واختيرت مدينة البيضاء مقرا لها ، وهى مدينة صغيرة هادئة يتسع عمرانها اتساعا كبيرا بمرور الأيام .

وقد عين للجامعة شيخ هو المسئول الأول فيها والمشرف على إدارتها ، وكان أول شيخ تولى رياستها هو فضيلة الشيخ منصور المحجوب ، وثانى شيخ لها هو الشيخ الحالى الشيخ عبد الحميد الديبانى ، واختير الشيخ سليمان الزوبى وكيلا لها ، ثم فضيلة الشيخ محمد جوان من بعده .

وبمقتضى قانون إنشاء الجامعة أنشئت كليات ثلاث : الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ، وتولى عمادة هذه الكليات علماء ليبيون متخرجون من الأزهر الشريف ، وهم : الشيخ محمد جوان ، والشيخ مصطفى التريكى ، والشيخ إبراهيم رفيدة . وأنشئت فى الجامعة إدارة للوعظ . ومعهد للبعوث الاسلامية ، ومعهد للخطوط العربية ، ومعهد للقراءات ، ومعاهد للبنات ، والكثير من المدارس القرآنية ؛ وفى عام ١٩٦٦ صدر مرسوم بإنشاء هيئة كبار العلماء ، ومرسوم آخر بإنشاء أقسام للدراسات العليا تابعة لهذه الجامعة الإسلامية على أن يكون مقرها مدينة الجغبوب .

وأنشئت مجلة إسلامية تنطق باسم هذه الجامعة ، وهى « مجلة الهدى الاسلامى » التى أشرف عليها الأستاذ الشيخ مصطفى التريكى، ولتعدد مسئولياته اختير عالم أزهرى معروف للإشراف عليها وهو الشيخ محمد أمين هلال ، وقد صدر العدد الأول من المجلة فى شهر رجب ١٣٨١ هـ ديسمبر ١٦٦١ م .

وقد ندب وعين للتدريس فيها طائفة من العلماء الليبيين ومن صفوة علماء وأساتذة جامعة الأزهر الشريف ومعاهده .

وزودت الجامعة بمكتبة عامة ضخمة ، أضيف إليها ما بقى من مكتبة الامام محمد بن على السنوسى التى كانت فى الجغبوب، ثم نقلت منها وأضيفت إلى مصلحة الأوقاف ، وسميت بمكتبة الأوقاف ، ثم نقلت كقسم من أقسام مكتبة الجامعة الاسلامية ، وتضم حوالى ثلاث آلاف كتاب مابين مخطوط ومطبوع .

وأنشئت إدارات مختلفة فى الجامعة ، تتولى مختلف شئونها وشتى ألوان النشاط فيها ، ومنها إدارة التخطيط ، وإدارة الاتصال بالعالم الاسلامى .

ويفد كل عام على كليات ومعاهد هذه الجامعة مئات الطلاب من مختلف أنحاء العالم الاسلامى للدراسة فيها ، ويتخرج منهم سنويا عدد كبير من كليات الجامعة ومن معهد البعوث الإسلامية فيها .

— ٣ —

وتولى الدولة الجامعة اهتماما كبيراً يتجلى فى ضخامة الاعتمادات المالية المخصصة لها . وفى مؤازرتها فى سبيل أداء رسالتها الإسلامية والثقافية ، وفى المبانى الجديدة الضخمة التى تبنى لها الآن فى مدينة البيضاء .

ويؤازر الأزهر الشريف هذه الجامعة الفنية مؤازرة فعالة ، فقد أعارها خيرة أساتذته ، ووضع أمامها جميع خبراته ونظمه وقوانينه ومناهجه وكتبه العلمية .

وتقيم الجامعة كل عام فى مدينة البيضاء مواسم ثقافية منوعة يحاضر فيها أساتذة الجامعة وأساتذة زائرون من مختلف شعوب العالم الإسلامى .

وبعد سنوات عدة من إنشاء الجامعة الإسلامية نستطيع أن نهنئها بما بذلت من جهود وأعمال ، وإن كان لا يزال أمامها الكثير من المسئوليات والواجبات العلمية ، ومن حسن الحظ أنها تتحملها بشجاعة وصبر وسعة أفق وإيمان بالرسالة وبالمسئولية جميعا .

وفى خطاب العرش ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١م قال الإدريس عن الجامعة الإسلامية : « وإيمانا منا بما للتربية الدينية من آثار قيمة فى تقويم الأخلاق وبناء المجتمع على أسس متينة من مبادىء الدين الإسلامى الحنيف ، نقدر الرسالة العظمى التى يقوم بها معهد السيد محمد بن على السنوسى الدينى فى خدمة الدين الإسلامى ، ونشر مبادئه فى أنحاء مملكتنا ، بما يحمل من إشعاعات الهداية ومشاعل النور ، وإنه لمن دواعى سرور حكومتى ، هذا الإقبال المتزايد على المعهد وفروعه إذ أصبح يضم أكثر من ثلاثة آلاف طالب فى مختلف المراحل الدراسية وسيتم تخرج الفوج الأول من علمائه هذا العام ، ورغبة فى توثيق الروابط مع البلاد الإسلامية . فقد فتح المعهد أبوابه للبعوث التى أخذت تفد إليه من الدول الإسلامية والبلاد الأخرى ، كالصومال واتحاد مالى ، بالإضافة إلى طلاب مسلمى أمريكا ، ويرحب بمن يفد إليه من البلاد

العربية الشقيقة ؛ ونشرا للثقافة الدينية بين المواطنين خطا هذا المعهد خطوات موفقة بما عينه من وعاظ ومرشدين فى كل مدينة وقرية ، لتشمل حركة الوعظ والإرشاد أنحاء المملكة ، ويساهم المعهد مساهمة فعالة فى توثيق أواصر الإسلام بين ليبيا والبلاد الأخرى بمشاركته فى الوفود وإيفاده البعثات إلى المؤتمرات الإسلامية ، مما كان له الأثر الطيب فى نفوس السكان المسلمين فى تلك البلاد . . . وتمشيا مع توسيع المعهد وتطوره . فقد أصدرت حكومتى مرسوما بقانون لتحويله إلى جامعة إسلامية تساير ركب التقدم العلمى وتحقق نجاح النهضة الدينية فى هذا البلد الاسلامى العريق » .

ويتولى إدارة الجامعة : ا ـ شيخ الجامعة . ب ـ المجلس الأعلى للجامعة .

وشيخ الجامعة هو المسئول الأول فيها والمشرف على السيرة الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة إلى أهل العلم وحملة القرآن الشريف ، سواء كانوا منتمين إلى الجامعة أم غير منتمين إليها ، كما أنه هو المنفذ الفعلى لجميع مايصدر فى شأن الجامعة فى حدود القانون والأنظمة التى توضع لذلك . وهو الذى يمثل الجامعة فى صلاتها بالهيئات الأخرى والأشخاص وأمام القضاء .

ويكون تعيينه وإعفاؤه من منصبه بأمر ملكى ويختار من بين أعضاء هيئة كبار العلماء أو ممن تتوافر فيهم الشروط التالية :

١ — ألا تقل سنه عن أربعين سنة ميلادية .

٢ — أن يكون معروفا بالورع والتقوى فى حاضره وماضيه .

٣ — أن يكون حاصلا على الشهادة العالمية المعترف بها رسميا وذلك منذ عشر سنوات على الأقل .

٤ — أن يكون قد مارس التدريس بالجامعة أو معاهدها أو شغل منصب الإفتاء أو عضوية المحكمة العليا الاتحادية مدة خمس سنوات على

الأقل . ويصير من يعين شيخا للجامعة من غير أعضاء هيئة كبار العلماء عضوا فى هذه الهيئة بحكم منصبه .

ويشكل المجلس الأعلى للجامعة من :

١ — شيخ الجامعة رئيسا .

٢ — وكيل الجامعة .

٣ — أحد عمداء الكليات يختاره شيخ الجامعة لمدة سنة .

٤ — عضوان من هيئة كبار العلماء يعينان بأمر ملكى لمدة سنتين .

٥ — رئيس إدارة التشريع والقضايا بوزارة العدل .

٦ — ممثل لوزارة المعارف ينتدبه الوزير بالاتفاق مع رئيس المجلس .

٧ — ممثل لوزارة المالية ينتدبه الوزير بالاتفاق مع رئيس المجلس .

٨ — مدير الزوايا السنوسية .

٩ — ثلاثة من ذوى الخبرة بشئون التعليم والدراسات الاجتماعية يعينون بأمر ملكى لمدة سنة قابلة للتجديد .

ويشترط فى أعضاء المجلس الأعلى وسكرتيره أن يكونوا حائزين للصفات الملائمة لطبيعة العمل فى الجامعة .

٦ – الجامعة الليبية

فى بدء العام الجامعى ١٩٦٤ – ١٩٦٥ عاد طلبة الجامعة الليبية إلى جامعتهم ، ودخل طلبة جـــدد بوجوه مشرقة ، تنضح أملا فى مستقبل ثقافى كبير .

وبهذه المناسبة (١) عقد مدير الجامعة الليبية مصطفى بعيو مؤتمراً صحفياً فى مقر الجامعة ببنغازى . تحدث فيه إلى مندوبى الصحافة والإذاعة بينما جلس برفقته أعضاء هيئة التدريس بالجامعة . واستهل المؤتمر ببيان عن التعليم الجامعى فى ليبيا ، وعن كل ما أنجزته الجامعة الليبية ، وماقطعته من شأو طويل فى طريق التقدم والنجاح : وتحدث عن مرحلة البداية التى مرت بها الجامعة وكيف أن هيئة تدريسها لم تكن تتجاوز ستة أساتذة وأنها اليوم بلغت ١٠٨ مدرسين،وهم وإن كانوا يمثلون عدة جنسيات وبلاد مختلفة ، إلا أنهم يتفقون جميعاً فى خدمة العلوم والمعارف الإنسانية .

ابتدأت الجامعة الليبية بكلية الآداب والتربية ثم أنشئت كلية التجارة والاقتصاد ، ثم كلية العلوم ، وأخيراً كلية الحقوق . وتستعد إدارة الجامعة لافتتاح كلية للزراعة لسد حاجة البلاد فى هذا الحقل .

وأول دفعة التحقت بالجامعة كان عدد أفرادها ٣٢ طالباً ، وكان عدد أفراد أول دفعة تخرجت فى الجامعة الليبية ٣١ طالباً ، وقد بلغ عدد خريجى الجامعة الليبية حتى أكتوبر ١٩٦٤ ٥٦٧ طالباً .

وكان عدد طلاب الجامعة الليبية فى عام ١٩٦٣ – ١٩٦٤ م ١١٤٥ طالباً وينتظر أن يصل هذا العدد إلى حوالى ١٥٠٠ طالبا عام ١٩٦٤ – ١٩٦٥ م .

---

(١) راجع مجلة المعرفة ٢٠ / ١١ / ١٩٦٤

وعينت الجامعة الليبية ٦٠ معيداً بالجامعة ، وبعضهم سافروا إلى الخارج للتخصص والعودة ليكونوا نواة صالحة لأسرة التعليم الليبية بالجامعة .

وتضم الجامعة الآن مكتبتين إحداهما ببنغازى والأخرى فى كلية العلوم بطرابلس . وكلاهما تحتويان على عدد كبير من الكتب العلمية والمراجع ، وتضم مكتبة بنغازى وحدها ٤٣٩٠٧ كتابا .

وقد سعت الجامعة الليبية إلى تنفيذ مشروع المكتبة الخاصة لكل طالب ، فاستجلبت الكتب وباعتها للطلاب بأثمانها وعلى أقساط ، وتحملت إدارة الجامعة نفقات شحنها ونقلها .

كما قامت الجامعة الليبية بنشر عدة مؤلفات لعدد كبير من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة .

واهتمت الجامعة الليبية بحياة الطلاب المدرسية ، وخصصت قسما داخليا للذين يرغبون فى الإقامة بالقسم الداخلى ؛ وعلى الرغم من أن نظام الانتساب بالنسبة للطلبة الذين يتابعون حياتهم العملية بينما يشتركون آخر العام فى امتحانات الجامعة ، قد منعته كثير من الجامعات الحديثة ، إلا أن الجامعة الليبية حرصت على الأخذ به لتتيح لكل راغب الفرصة لمتابعة دراسته العالية .

وتعمل الجامعة الليبية على إتاحة الفرصة لأبنائها للاتصال الخارجى فهى تنظم كل عام رحلات علمية المتفوقين من طلابها إلى مختلف بلدان العالم ، كما تشترك الجامعة الليبية فى مختلف الحلقات والمؤتمرات الجامعية .

وتقوم الجامعة الليبية بدعوة أساتذة من مختلف جامعات العالم لإلقاء المحاضرات على طلاب الجامعة ، بغية التعريف بالجامعة ، وإتاحة الفرصة للطلاب للاحتكاك بنوع جديد من الثقافة والاتصال العلمى .

٧ ـ أشهر الصحف والمجلات فى ليبيا

فى القرن العشرين

يمكننا إجمالا أن نذكر أهم الصحف والمجلات التى ظهرت فى ليبيا منذ أول القرن العشرين حتى اليوم ، لما لها من آثار أدبية كثيرة . ولأنها كانت منارا من منارات النهضة والتقدم ، وهى هذه :

١ ـ الكشاف التى ظهرت عام ١٩٠٨ ، وصاحبها هو محمد الأنصارى .

٢ ـ العصر الجديد ظهرت عام ١٩١٠ ، وصاحبها محمد البارودى .

٣ ـ المرصاد وقد ظهرت عام ١٩١٠ ، وصاحبها الفساطوى .

٤ ـ الرقيب العتيد ، ظهرت عام ١٩١٠ ، وصاحبها نديم بن موسى .

٥ ـ اللواء الطرابلسى ، ظهرت عام ١٩١٩

٦ ـ العدل لصاحبها عبد الله عربي وقد ظهرت عام ١٩١٩

٧ ـ الوطن ظهرت عام ١٩٢٠

٨ ـ الوقت ظهرت عام ١٩٢٠

٩ ـ الذكرى ظهرت عام ١٩٢٢

١٠ ـ بريد برقة ظهرت عام ١٩٢٥

١١ ـ ليبيا المصورة وصاحبها هو عمر فخرى المحيشى ، وقد ظهرت عام ١٩٣٥

١٢ ـ الوطن ، ظهرت عام ١٩٤٣

١٣ ـ برقة الأسبوعية ، ظهرت عام ١٩٤٣

١٤ ـ طرابلس الغرب ظهرت عام ١٩٤٣

١٥ — بنغازى ظهرت عام ١٩٤٣

١٦ — عمر المختار ظهرت عام ١٩٤٣

١٧ — الأخبار ظهرت عام ١٩٤٤

١٨ — برقة الجديدة ظهرت عام ١٩٤٥

١٩ — المرآة ظهرت عام ١٩٤٦

٢٠ — الفجر الليبى ظهرت عام ١٩٤٧

٢١ — صوت الشعر ظهرت عام ١٩٤٧

٢٢ — الاستقلال ظهرت عام ١٩٤٨

٢٣ — المرصاد ظهرت عام ١٩٥٠

٢٤ — التاج لصاحبها الأستاذ عمر الأشهب ، وقد ظهرت عام ١٩٥١

٢٥ — مجلة ليبيا وقد ظهرت عام ١٩٥١

٢٦ — الليبى ظهرت عام ١٩٥١

٢٧ — اللواء ظهرت عام ١٩٥٢

٢٨ — الدفاع ظهرت عام ١٩٥٣

٢٩ — الزمان ظهرت عام ١٩٥٤

٣٠ — طرابلس الغرب ، ظهرت عام ١٩٥٤

٣١ — صوت المربى ظهرت عام ١٩٥٥

٣٢ — الأفكار ظهرت عام ١٩٥٥

٣٣ — الرائد ظهرت عام ١٩٥٦

٣٤ — الضياء ظهرت عام ١٩٥٧

٣٥ — مجلة ليبيا الحديثة - مجلة الهدى الإسلامى - مجلة الإذاعة - مجلة الكشاف .

٣٦ — صحف : الزمان - العمل - برقة - فزان - طرابلس - الحرية .

وإلى تأثير الصحف والمجلات اليوم نجد تأثير الإذاعة والنوادى الأدبية ومن أهمها : النادى الأدبى وجمعية عمر المختار .

الفصل الثانى

اعلام العلماء فى هذا العصر

— ١ —

١ — إبراهيم القبتورى (١٣٥٢ هـ) من زليتن درس بالمعهد الأسمرى وله مشاركة فى العلم (١) .

٢ — أحمد بن سالم بن على بن عون (١٣٠٥ - ١٩٣٥ م) درس فى الأزهر ورجع إلى الزاوية وتولى القضاء (٢) .

٣ — أحمد الرجبى (١٣٠٣ هـ) (١٨٨٦ م - ١٩٥٤) درس فى الأزهر وتنقل بين مصر وليبيا وتولى رواق المغاربة فى الأزهر وانتخب عضوا فى مؤتمر العزيزية ومؤتمر غريان سنة ١٩٢٠ (٣) .

٤ — أحمد بن مفتاح (١٢٩٧ - ١٣٥٥ هـ) درس فى الأزهر ورجع إلى زليتن بلده واشتغل بالتدريس ، وكان عالما جليلا (٤) .

٥ — أحمد الفساطوى (إبريل ١٩٣٦) درس فى الأزهر ، ورجع إلى وطنه عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م ، أسندت إليه رياسة المدرسة الإسلامية العليا ، واشتغل بالأدب والصحافة (٥) .

٦ — أحمد القطليسى من علماء زليتن وله كتاب مخطوط فى تراجم علماء زليتن ، توفى عام ١٩٤٢ (٦) .

---

(١) ٣ أعلام ليبيا .
(٢) ٣٢ و ٣٤ المرجع نفسه .
(٣) ٤٠ و ٤١ المرجع .
(٤) ٤٨ المرجع .
(٥) ٧٣ المرجع .
(٦) ٧٨ المرجع .

٧ - رحومة الصارى (١٢٨٣ - ١٢٦٦ هـ) من زليتن ومن العلماء والمجاهدين [١] .

٨ - سالم الفطيسى (١٣٤٠ هـ) من علماء زليتن المشهورين [٢] .

٩ - سعيد المسعودى (١٢٨٦ هـ : ١٨٦٩ م - ١٩٥٢ م) ، درس فى طرابلس والأزهر ، وعين عضوا بالمحكمة العليا الشرعية عام ١٩٢٢ ، وكانت له أشعار وطنية ضد الاستعمار الإيطالى [٣] .

١٠ - السنوسى بادى (١٣٠١ : ١٣٥٩ هـ : ١٩٤٠) ، من مصراتة عالم جليل ، درس فى الأزهر وتخرج منه عام ١٣٢٢ هـ ، وعاد إلى بنى غازى أيام الطليان ثم عاد إلى مصر وتوفى بها [٤] .

١١ - الطاهر النعاس (١٣٠٧ - ١٣٥١ هـ) عالم جليل ، درس فى الأزهر ، وعاد إلى بلاده ، منقطعا للعلم [٥] .

١٢ - عبد الله بن عبد الكافى [٦] (١٣٠٢-١٣٧٤ هـ : ١٩٥٥ م) درس فى الأزهر وشارك فى جميع العلوم وأخذ عنه الشيخ سليمان الزوبى وغيره ، وهو من علماء مصراتة المتفوقين ، ومات فى القاهرة .

١٣ - على عياد (١٨٦٨ - ١٩٥٤) [٧] درس فى الأزهر ، هاجر عام ١٩١٢ إلى لبنان فسوريا وتوفى بدمشق .

١٤ - على الحاجى (١٢٨٩ - ١٢٧٨ هـ ١٩٥٩ م) ، درس فى الزيتونة وسافر إلى تركيا وكان عالما جليلا ، تولى بعض مناصب القضاء فى بلاده [٨] .

---

(١) ١١٢ و ١١٣ أعلام ليبيا . (٢) ١٢٢ المرجع .
(٣) ١٢٣ المرجع . (٤) ١٣٠ و ١٣١ المرجع
(٥) ١٤٣ - ١٤٥ المرجع . (٦) ١٦٠ و ١٩١ المرجع .
(٧) ٢١٩ المرجع . (٨) ٢٢٠ و ٢٢١ المرجع .

١٥ — عليوة بن إبراهيم [١] (١٢٧٠ - ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م) درس فى الأزهر واشتغل بالتدريس والقضاء وشارك فى الجهاد .

١٦ — عمر الميساوى (١٩٣٠ م - ١٣٤٩ هـ) درس فى الأزهر ، ودرس فى مدرسة عثمان باشا وجامع أحمد باشا فى طرابلس ، ونفى إلى إيطاليا ، ولما عاد منها تولى الإفتاء فى مصراتة ، وشارك فى الجهاد الوطنى ، وأقام فى الإسكندرية منذ عام ١٩٢٤ وتوفى فيها [٢] .

١٧ — عمر فخرى المحيشى درس فى مدرسة فرنسية فى الاسكندرية ، والتحق بمدرسة إيطالية فى بنى غازى ، وسافر إلى إيطاليا لإكمال تعليمه ، ولما عاد تولى وظيفة فى بنى غازى ، وأنشأ جريدة البريد ثم جريدة ليبيا المصورة عام ١٩٣٥ ، ومات عام ١٩٤٢ [٣] ، ورثاه إبراهيم الأسطى عمر الشاعر .

١٨ — فرج الفيتورى (١٢٩٩ هـ - ١٩٤٦ م) درس فى الأزهر ، وتولى التدريس فى المعهد الأسمرى وتوفى عام ١٩٤٦ [٤] .

١٩ — فوزى النعاس (١٨٩٨ - ١٩٣٨) تلقى تعليمه فى دمشق وأسهم فى الحركة الوطنية وهو فى سوريا وبها توفى [٥] .

٢٠ — محفوظ الورفلى من أكبر رجالات السنوسيين وعلمائهم وكان من أنصار عمر المختار فى حروبه ومات شهيدا فى ميدان القتال عام ١٣٤٥ هـ [٦] .

٢١ — محمد بن أحمد بن مسعود (١٢٨٢ - ١٢٦٣ هـ) من علماء زليتن وتولى القضاء [٧] .

---

(١) ٢٢١ و ٢٢٢ أعلام ليبيا . (٢) ٢٢٥ المرجع .
(٣) ٢٣٢ - ٢٣٥ المرجع . (٤) ٢٤٩ و ٢٥٠ المرجع .
(٥) ٢٥٤ و ٢٥٥ المرجع . (٦) ٢٥٨ المرجع .
(٧) ٢٦١ و ٢٦٢ المرجع .

٢٢ـ محمد الورفلي (١٣٤١ هـ) من العلماء درس في الأزهر وعاد عام ١٣١٧ إلى طرابلس ، وتولى التدريس بزاوية عبـــد السلام الأسمر عام ١٣١٨هـ (١) .

٢٣ ـ محمد بن عبد السلام المصراتي العالم الأديب ، رحل إلى تونس والأزهر ، وكان له دراية بالأدب الطرابلسي وبالأدباء فيها وبالحوادث والتواريخ التي مرت بطرابلس ، وعاد من الأزهر عام ١٣٥٠ هـ فتولى التدريس في مدرسة أحمد باشا وكذلك الخطابة والوعظ ، توفي عام ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤ م (٢) .

٢٤ ـ محمد البكوش من علماء زليتن درس في الأزهر ورجع إلى بلاده ١٣٢٧ هـ بعد أن نبغ في كثير من العلوم وأسندت إليه وظائف قضائية كثيرة ، منها عضوية المحكمة العليا الشرعية عام ١٣٥٠ هـ وتوفي بعد ذلك بقليل (٣) .

٢٥ ـ محمد أبو حواء (٤) من أكبر الإخوان السنوسيين ومن أهل العلم مات شهيدا عام ١٣٤٩ هـ .

٢٦ ـ محمد السني (١٩٢٩ م) من كبار الإخوان السنوسيين وعلمائهم (٥).

٢٧ ـ محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي (١٢٦٢ ـ ١٣١٣ هـ) والد السيد أحمد الشريف السنوسي وله مشاركة في جميع العلوم (٦) .

٢٨ ـ محمد الفقيه حسن (١١٨٤ ـ ١٣٦٠ هـ) ولد بطرابلس والتحق بالمدرسة الرشدية وفيها تعلم التركية ، ودرس على علماء طرابلس ، وتولى

---

(١) ٢٦٥ و ٢٦٦ أعلام ليبيا .
(٢) ٢٧٩ و ٢٨٠ المرجع .
(٣) ٢٩٤ و ٢٩٥ المرجع .
(٤) ٢٠٧ المرجع .
(٥) ٣١٥ المرجع .
(٦) ٣١٧ و ٣١٨ المرجع .

وظائف قضائية وشارك في الجهاد الوطني وتوفي عام ١٣٦٠ هـ بطرابلس(١) .

٢٩ — المختار بن حسين من علماء الزاوية درس في الأزهر وعاد إلى بلده عام ١٩٢٠ م ، وتولى وظائف قضائية كثيرة ، وتوفي ١٩٤٨ (٢) .

٣٠ — مفتاح بن عبـــد الله من علماء زليتن ، درس في الأزهر ، وتولى القضاء ببلده وتوفي عام ١٣٥٢ هـ (٣) .

— ٢ —

ومن الليبيين طائفـــة درست في الأزهر ونبغت في علومه وتولت التدريس فيه ، ونالت شهرة ذائعة وهم كثيرون ، وطائفة أخرى تخرجت من غير الأزهر ، وكانت من أعلام الأدب والثقافة في مصر ، نذكر منهم على سبيل المثال :

١ — الشيخ الأمير المـالكي المتوفى ١٢٣٢ هـ : ١٨١٧ م ، وكان إماما كبيرا وعالما عظيما (٤) ، وعليه تخرج كثير من أعلام الطرابلسيين ، وفي مقدمتهم محمد بن كامل مصطفى (١٣١٥ هـ) وغيره (٥) .

٢ — الشيخ حسن العطار العالم الأديب الشاعر المشهور المتوفى عام ١٢٥٠ هـ : ١٨٣٤ م (٦) .

---

(١) ٣٢٣ - ٣٢٥ أعلام ليبيا .
(٢) ٣٢٢ و ٣٢٣ المرجع .
(٣) ٣٤٤ و ٣٤٥ المرجع .
(٤) ٣٥ و ٣٦ : ٣ قصة الأدب في مصر للمؤلف .
(٥) راجع ص ١٨٣ : ١ من هذا الكتاب .
(٦) ٩٧ و ٩٨ : ٣ قصة الأدب في مصر .

٣ — الشيخ على الليثى الأديب الشاعر المشهور وهو من أسرة طرابلسية الأصل ، وقد رحل إلى طرابلس وأقام فيها فترة ، وأخذ فيها على الشيخ السنوسى والشيخ القوصى الكبير (١) ، وكان أدبه وشعره يردد فى مجالس الإمام المهدى السنوسى كثيرا .

٤ — عبد العزيز جاويش (١٨٧٦ - ١٩٢٩ م) الأديب المصلح الكبير (٢) ، ووالده هو الشيخ خليل جاويش من جماعة بدر بمصراتة (ص ١٥ بعض الملامح التاريخية عن ليبيا لمصطفى بعيو)

٥ — حمزة فتح الله اللغوى الأديب المعروف المتوفى ١٩١٨ م (٣) ؛ ومن المصريين كذلك طائفة من العلماء أقامت فى طرابلس أو غيرها .

وقد زار جغبوب الشاعر الشيخ على الليثى ، وعبد الله باشا فكرى وغيرهما من المصريين .

---

(١) راجع ٣ : ٩٩ - ١٠١ المرجع نفسه ، وقد تتلمذ على الإمام الأكبر فى الزاوية البيضاء وقد زار الجغبوب (٥١ السنوسى الكبير للأشهب) .

(٢) راجع ٦٢ - ٧٠ : ٥ المرجع ، وقصص من التاريخ للمؤلف .

(٣) راجع ٤٦ - ٥١ : ٤ قصة الأدب فى مصر .

الفصل الثالث

متى ظهر الأدب الحديث فى ليبيا ؟

— ١ —

كانت الدعوة السنوسية حركة إسلامية كبيرة تردد صداها فى كل مكان، وذاع نشاطها فى كل ركن من أركان الوطن الليبى ، وعم أثرها شتى جوانب الحياة فى ليبيا العربية المسلمة ؛ ولقد بدأ الأدب الليبى الحديث فى الظهور بقيامها ، وإن كان الذى بدأ منه هو مقدماته الأولى فحسب ، لأن الأذهان كانت لاتزال بعد مشغولة بأمر الدعوة ، وكان أنصارها يعملون فى كل مكان لدعم أركانها ويشغلهم هذا العبء عن الالتفات للأدب والعناية به . ثم فوجئت الدعوة باصطدام فرنسا المسلح بها فى أواسط إفريقيا، وفوجئت بعد ذلك بالغزو الاستعمارى الإيطالى المسلح الذى حاول القضاء على مقومات الأمة ، والذى سلبها حريتها وأمنها وسلامها ، وأراق الدماء الطاهرة البريئة الزكية فى كل مكان فيها، واضطر الأحرار إلى الجهاد والنضال، واستمر هذا النضال أكثر من عشرين عاما (١٩١١ - ١٩٣٢) حتى أمكن لإيطاليا الفاشستية بكل وسائلها البربرية القضاء على المقاومة المسلحة، ولكن المقاومة السلبية ظهرت فى شتى أنحاء الوطن الليبى الأبى واستمرت سبع سنوات (١٩٣٢ - ١٩٣٩) ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، ونصب كل ليبى من نفسه جنديا يدافع عن مقدسات بلاده ويحارب إيطاليا وجيوش الاحتلال بكل ما يستطيع ، وانتهت الحرب وبدأ جهاد الليبيين يتضاعف من أجل الاستقلال والوحدة . وفى ١٩٤٩ أعلن الملك إدريس الأول استقلال برقة ، وبعد ذلك وفى الرابع والعشرين من ديسمبر ١٩٥١ أعلن

استقلال بلاده بوحداتها الثلاث طرابلس وبرقة وفزان ، وبدأ منذ ذلك الحين عصر الاستقلال ، الذى يعد ذروة التاريخ الحديث فى الوطن الليبى ، وبدء عصر ازدهار الأدب الليبى الحديث فى تلك البلاد .

— ٢ —

وعلى ذلك يمكننا أن نقسم هذه الفترة الطويلة التى تبدأ بقيام الحركة السنوسية وتمتد حتى اليوم إلى ثلاث فترات :

١ — الفترة الأولى منذ قيام الدعوة السنوسية (شوال ١٢٥٨ هـ — ديسمبر ١٨٤٢ م) (١) حتى انتهاء العصر العثمانى (١٣٢٩ هـ : ١٩١١ م) ، والأدب فى هذه الفترة لايخرج عن نطاق الأدب الليبى فى عصر العثمانيين لأنه متأثر بالمؤثرات العامة التى تأثر بها هذا الأدب ، ولأن حكم العثمانيين كان لايزال له الصفة الشرعية فى ليبيا وكان هناك حاكم عثمانى فى برقة وآخر فى طرابلس ، وأحيانا يكتفى بحاكم واحد مقره طرابلس (٢) . وإن كان النفوذ والسيادة فى شتى ربوع البلاد وخاصة الجهات الداخلية منها إنما هى لزعماء السنوسية ودعاتها . وقد تحدثنا عن الأدب الليبى حتى نهاية هذه الفترة ، فلا داعى لتكرار الحديث فيه .

٢ — والفترة الثانية هى فترة نضال الأمة الليبية وجهادها المقدس

---

(١) كان هذا التاريخ هو أول نشاط الحركة السنوسية فى ليبيا ، وبدئها بتأسيس الزوايا السنوسية فى ربوع هذه البلاد ، ففى هذا التاريخ أنشئت زاوية البيضاء وهى أولى الزوايا السنوسية فى ليبيا .

(٢) على أن العقول لم تكن بعد قد بدأت تتمثل الأفكار السنوسية وتدخلها فى نطاق الإنتاج الأدبى ، وكان زعماء السنوسية وأنصارها مشغولين ، والبلاد كذلك معهم مشغولة ، بشئون الدعوة ، ثم بالدفاع عنها ، ثم بنضال المستعمرين .

ضد الغزاة الإيطاليين وتستمر هذه الفترة من بدء الغزو الإيطالى ١٣٢٩ ﻫ : ١٩١١ م حتى طرد الإيطاليين من الأراضى الليبية فى يناير ١٩٤٣ ، ثم يبدأ نضال الليبيين الأحرار وعلى رأسهم زعيم البلاد محمد إدريس السنوسى من أجل إعلان الاستقلال ، ويستمر هذا الكفاح حتى سبتمبر ١٩٤٩ حيث أعلن هذا البطل المقدام استقلال برقة ، ولم يمض عامان اثنان حتى أعلن استقلال ليبيا بوحداتها الثلاث وذلك فى ٢٤ من ديسمبر ١٩٥١ ، وبذلك التاريخ تنتهى الفترة الثانية .

٣ — والفترة الثالثة هى عهـــد الاستقلال وذلك من عام ١٩٥١ حتى اليوم .

— ٣ —

وإذا كنا لم نعد الأدب فى ليبيا فى الفترة الأولى داخلا فى نطاق الأدب الليبى الحديث لأنه كان لايزال متأثرا بكل المؤثرات التى يتأثر بها الأدب فى عصر العثمانيين ، وكان حكم العثمانيين لايزال موجودا له الصفة الشرعية فى البلاد ، وكانت البلاد مشغولة بأمور الدعوة السنوسية وبنشرها ، ولم تكن العقول قد فرغت بعد إلى الإنتاج الأدبى متأثرة بالعوامل الجديدة فى ظلال هذه الدعوة الإسلامية الإصلاحية الكبيرة .

فإن ظهور الأدب الليبى الحديث على وجه الحقيقة ، وقيامه الفعلى ؛ إنما كان مع قيام حركة الكفاح المقدس ضد الغزاة الإيطاليين عام ١٣٢٩ ﻫ : ١٩١١ م ؛ فقد بعث هذا الكفاح الحماس فى صدور الشعراء العرب فى كل مكان ، فنظموا القصائد الطوال فى الحرب الطرابلسية ، وتمجيد بطولة الليبيين العرب الأحرار ، واستماتتهم فى الدفاع عن وطنهم ، ومن بين هؤلاء الشعراء : الرصافى وشوقى وحافظ ومحرم وسواهم ، كما بعث كذلك الحماس فى صدور الشعراء الليبيين فأخذوا يترنمون بالشعر يمجدون فيه حريتهم ويدافعون به

عن وطنهم ويؤججون به مشاعر العرب الكريمة فى كل مكان نحو ليبيا وحقها فى الحرية والشرف والإباء والكرامة وحقها على العرب فى مساندتهم لقضيتها العادلة الشريفة .

وعلى ذلك فإن الأدب الليبي الحديث لم يبدأ من عام ١٨٤٢ م إلا جذوره الأولى النامية ، أما بدؤه الحقيقى فكان عام ١٩١١ م ، وهذا الأدب الذى بدأ عام ١٩١١ هو من ثمار الدعوة السنوسية ، وأثر من آثارها ، لأنها كانت أجل مؤثر فيه ، وأظهر العوامل التى تركت سماتها وخصائصها عليه ، فهذا الأدب الليبي الحديث هو صدى للدعوة السنوسية ولسان من ألسنتها ، ومظهر من مظاهرها ، وثمرة من ثمراتها المباركة .

مقومات الأدب الليبي الحديث

— ١ —

تجمعت منذ أوائل القرن العشرين شتى المقومات السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية ، فساندت الأدب الليبي ، ودعمت أصوله ، وقادته نحو القوة والازدهار ، وبدأ بعد قليل التاريخ الحقيقي لمولد الأدب الليبي الحديث هذا الأدب الذي يعبر عن الشعب ، يترنم بآماله ، ويتمثل فيه صدى آلامه ، ويغنى للحرية ويدافع عنها ، ويشدو ببطولة الأبطال على أرض ليبيا العربية الحرة ، هذا الأدب الذى تظهر فيه كل الخصائص والمميزات التى لابد من توافرها فى أدب ينسب إلى ليبيا وينتمى إليها .

— ٢ —

وفى صدر هذه المقومات ما يلى :

١ — البواعث القومية ، وهى التى بعثت الشعب الليبي كله على نضال المستعمرين ، والترنم بمجد ليبيا وحريتها ، وعروبتها وإسلامها ، والدفاع عن شرفها وعزتها وسيادتها وحقها فى الحيـــاة والكرامة والسؤدد والفخار (١) ، ولقد عاشت ليبيا طول عصور التاريخ على الإسلام والعروبة ، وارتبطت بهما ارتباطا روحيا وثيقا ، مما نمى من شخصيتها وكيانها .

---

(١) لما زار المؤرخ أرنولد توينبي ليبيا عام ١٩٦٤ خطب فى الجامعة الليبية فى بنى غازى فقال : إنه ينصح الليبيين بأن لايكونوا متعصبين كثيرا لقوميتهم ليرتفعوا إلى مستوى الوحدة العالمية . فرد عليه مصطفى بعيو مدير الجامعة الليبية يقول : كيف نرتفع إلى مستوى الوحدة العالمية إذا كانت قوميتنا الإقليمية منقرضة أو غير موحدة (الحقيقة - عدد ١٨ / ٤ / ١٩٦٤) .

٢ — البواعث الاجتماعية وتتمثل فى المجتمع الليبى العربى المتشابه النزعات ، المتقارب الأصول والعناصر ، المتحد دينا ولغة ومشاعر وآمالا وآلاما . ولقد بلغ الوعى الاجتماعى فى ليبيا مداه من الشعور بالمجتمع والإدراك له ، وإحساس الفرد بأنه مدفوع إلى قوة الترابط الجماعية ، يضم قوته الفردية إليها ، ويعمل من أجل المساهمة فى قوتها ؛ وهذا الوعى الاجتماعى يساند الوعى الوطنى ويذكيه ؛ ويعمل على دعم كيان الأدب الحديث فى ليبيا العربية وتنميته ، عمله على يقظة الأمة سياسيا واجتماعيا ، ولقد دأب الشعب الليبى على العمل من أجل تعزيز كيانه الاجتماعى ، يحفزه إلى ذلك الروح الدينية الإسلامية المتغلغلة فى أعماق الشعب ، وتدفعه الحركة السنوسية إلى ضم صفوفه ، وجمع كلمته ، ونبذ الخصومات القبلية والأهواء الشخصية، وإنماء روح التعاون والمحبة بين صفوفه وطبقاته وقبائله وأفراده ؛ ولقد نافست المرأة والشباب الرجل فى هذه المجالات ، وحمل الجميع عبء النضال الوطنى والدفاع عن حرية البلاد ، مما دعم الأدب الليبى الحديث وعزز أصوله ، وهذه هى « مبروكة المقسية » التى حضرت معارك زنزور [١] ، وكانت تتقدم المجاهدين وتحثهم على الاستبسال فى الدفاع وقد أعجب نشأت باشا بشجاعتها فأعطاها سيفا ، فكانت تتقلده وتذهب به إلى المعركة ، وسماها مراسل جريدة (بارى جرنال) جان دارك الثانية ، وأثنت عليها الأديبة التركية فاطمة علية بنت جودت باشا فى مقال نشرته فى جريدة صباح التركية عام ١٩١٢ [٢] ، وهذه فتاة طرابلسية مجهولة تضرب المثل فى البطولة لبنات جنسها فى مقاومة الغزاة الإيطاليين والدفاع عن شرف البلاد [٣] ومواقف الأطفال والشباب والنساء والرجال فى حركة الجهاد المقدس كان من أروع ما يتصوره العقل وفى ذروة ما يحلم به إنسان .

---

(١) من المعارك المشهورة التى نشبت بين المجاهدين وجيوش إيطاليا .

(٢) ٢٥٧ أعلام ليبيا .

(٣) ٢٤٩ المرجع السابق .

٣ — البواعث العقلية ، فإن الفكر الليبي بدأ من أوائل القرن العشرين يتصل بالعروبة والدين والدعوة السنوسية اتصالا وثيقا، على الرغم من وسائل الغرب ودعاياته ومدارسه وثقافاته ومن كل مايعمل به لغرض واحد هو صرف الفكر العربي عن ماضيه وتراثه ومقوماته الأصيلة من الدين واللغة وغيرهما . وللزوايا السنوسية فى ليبيا ، ولعدم اختلاط الشعب الليبي بغيره من العناصر الأخرى اختلاطا شديدا ، أثر واضح فى ذلك ، وقد قامت الجامعة الإسلامية فى ليبيا تعزز روح الثقافة والدين والتفكير فى نفوس الشباب الليبي ، ولها فى هذا المجال رسالتها الكبيرة الضخمة الممتدة إن شاء الله ؛ ولقد تطور الفكر الليبي بمسايرة الحياة المتحضرة ، وباتصاله بشتى الثقافات ، وبانتشار التعليم فى بلاده ، وبإنشاء الجامعات فيها ، وبقيام الإذاعة والصحافة والأندية الأدبية وغيرها .

٤ — قيام الجامعة الإسلامية مركزا ثقافيا إسلاميا رفيعا فى أرض ليبيا العربية المسلمة .

٥ — قيام الجامعة المدنية فى بنغازى وطرابلس ، وتقوم فيها عدة كليات كالآداب والحقوق والزراعة والطب والهندسة والتجارة وتؤدى رسالة كبيرة فى تثقيف الشباب الليبي وإعدادهم لحمل الأمانة والمسئولية الملقاة على عاتقهم .

٦ — انتشار التعليم فى ليبيا : نهض التعليم فى ليبيا نهضة كبيرة منذ قيام الزوايا السنوسية ، وكان فى البلاد قبل الغزو الإيطالى المعهد الأسمرى فى زليتن ، والمدرسة الإسلامية العليا (معهد أحمد باشا) والمدرسة الرشدية فى طرابلس وكثير من المدارس الابتدائية والثانوية والصناعية ، وقد أراد الاستعمار الإيطالى أن يحارب التعليم فى ليبيا حربا شعواء ، فأنشأ بعض المدارس الابتدائية لغة التدريس فيها هى اللغة الإيطالية ، ولم يتجاوز عدد التلاميذ الليبيين فيها عام ١٩٣٩ عشرة آلاف بينما بلغ عدد طلبة الجالية

الإيطالية أكثر من ستة عشر ألفا ، وكانت مواد الدراسة فى هذه المدارس ترمى إلى تأكيد الإيمان بالإمبراطورية الرومانية وأن ليبيا جزء منها ، واهتمت إيطاليا بعزل ليبيا عن العالم العربى والإسلامى ، فأنشأت مدرسة دينية إسلامية فى طرابلس لتمنع سفر الطلاب إلى مصر وتونس ، ولكن الزوايا استمرت فى أداء رسالتها وكثر سفر الشباب الليبى إلى مصر لتلقى دروسهم فى مصر وخاصة فى الأزهر ، وكذلك فى تونس فى الزيتونة .

وفى عهد الاستقلال ، بدأت العناية بالتعليم العام ، وأنشئت المدارس والمعاهد الجديدة ، وشجعت حركة البعوث العلمية ، ولقى الأساتذة والطلاب ضروبا من التشجيع والرعاية ..

٧ — المطابع وأثرها : كان مطلع القرن الخامس عشر الميلادى بدء تطور فى العلم والحضارة ، إذ وصل العالم فيه إلى اختراع الطباعة ، بعد تجارب ومحاولات عدة ، سبقت الوصول إلى هذه الغاية . . فقلبت الطباعة وجه الأرض ، ودفعت الحضارة دفعا عنيفا .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الصينيين قد سبقوا الأمم إلى استخدام الطباعة فى إخراج كتبهم فى القرن التاسع الميلادى ، ولكنها لم تنتشر عندهم إلا فى القرن العاشر . . ففى عام ٩٣٢ م التمس وزيران من امبراطور الصين أن يأمر بتصحيح بعض كتبهم وطبعها ؛ وعند الصينيين كتب مطبوعة من عهد ملوكهم من عائلة (سنغ) ٩٦٠ - ١٢٧٩ م . . أما الطبع بالحروف المتحركة فأول من ابتكر طريقته لورنس كوستر (١٤٣٢م) ، وكان جوتنبرج الألمانى (١٤٦٨م) عاملا عنده ، فأخذ الاختراع وادعاه لنفسه ، وقيل إن أول مبتكر لذلك حنا فوست ، وقيل بطرس شوفر . . وبدأ الإيطاليون باستخدام الطباعة عام ١٤٦٥ فى سوبياكو ، وفى عام ١٤٦٩ م أنشئت المطابع فى باريس وميلانو والبندقية ، ودخل فن الطباعة انجلترا عام ١٤٧٤ م ، وأسبانيا عام ١٤٧٥ م . . وفى عام ١٥٠٠ م كان فى أوربا

نحو مائتى مطبعة ، فالقرن الخامس عشر هو إذاً قرن الفتح العلمى باختراع الطباعة . .

وأقدم المطبوعات العربية مزامير داود التى طبعت فى جنوا عام ١٥١٦م ثم التوراة ترجمة سعيد الفيومى وقد طبعت فى الآستانة عام ١٥٥١ م ، وطبع الإنجيل فى روما عام ١٥٩١م ، وقانون ابن سينا فى روما عام ١٥٩٣ ، ثم طبع القرآن الكريم فى هامبورج عام ١٦٩٤ ، وصحاح الجوهرى مترجما إلى التركية فى الآستانة عام ١٧٢٩ ، وكتاب نجوم الفرقان عام ١٨١٢ فى كلكتا ، وكتاب فتوح الشام عام ١٨٥٥ ، وأنشأ نابليون مطبعة عربية صغيرة فى مصر عام ١٧٩٨ ، ثم أنشأ محمد على مطبعة بولاق عام ١٨٢٢ م .

وقد بدأت الطباعة فى طرابلس منذ أوائل القرن العشرين ، وقامت فيها عدة مطابع عربية حاربها الاستعمار الإيطالى كما حارب اللغة العربية .. وبعد الاستقلال تعددت المطابع فى طرابلس وبنغازى ، ومنها المطبعة الليبية فى طرابلس (١٩٥٦) ومطابع السيد عبد الله عابد السنوسى فى بنى غازى ، ومطابع كثيرة متعددة أخرى ..

٨ — انتشار الصحافة : عرفت الصحافة عند الصينيين القدماء قبل الميلاد بألف عام ، وعند الرومان قبل الميلاد بسبعة قرون ؛ وظهرت الصحافة بمعناها الحديث فى أواسط القرن السادس عشر الميلادى ، وما زال أمرها يعظم حتى صارت من أولى عناصر الحضارة ، وعدت رابعة السلطات ، ولها الأثر البارز فى رقى الثقافة ، وتكوين الرأى العام ، وتعزيز سلطان الأمة ، والمجلات العلمية والأدبية من مقومات النهضة الأدبية فى كل أمة من أمم العالم . .

وقد كان لقيام الصحافة فى ليبيا أثر فى نشر الثقافة ، ورقى النثر ، وزيادة المعرفة . والأساليب العربية التى تكتب بها الصحف والمجلات خير مدرسة

لتلقين الأدباء وتخريجهم . وقد عرفت ليبيا ما يربو على خمس وثلاثين صحيفة منذ أكثر من ستين عاما أي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وإلى بداية عهد الاستقلال من بينها عدد قليل من المجلات ، فقد صدرت بطرابلس ثماني صحف ، من بينها مجلة شهرية تسمى « ثمرة الفنون » وهي مجلة علمية أدبية أنشأها داود أفندي عام ١٣١٦هـ — ١٨٩٨م .

ومنها جريدة الترقي التي أنشئت في طرابلس عام ١٩٠٨[1] وشارك في تحريرها عبد الرحمن البوصيري وعثمان القيزاني وأعلام الأدب في ليبيا ؛ ثم أصدر عبد الله عريبي جريدة العدل عام ١٩١٩ في طرابلس[2] .

وفي عام ١٩٢٠ قامت جريدة اللواء الطرابلسية ولمواقفها في الدفاع عن حرية الشعب أغلقت هذه الجريدة عام ١٩٢٢ ، وأسست بعد ذلك جريدة (الوقت) لصاحبها محسن ظافر المدني ، ثم عطلت فزال آخر أثر للصحافة الوطنية في ليبيا ، وأنشأ عمر المحيشي جريدة البريد ثم مجلة ليبيا المصورة ؛ وبعد الاستقلال قامت صحف ومجلات كثيرة تؤدي دورها في النهوض بالمجتمع الليبي وفي زيادة الوعي الفكري بين أبناء البلاد ، ومن بين الصحف التي صدرت مجلة المرآة ومجلة ليبيا وقد توقفتا ، ومن الصحف اليوم : صحيفة برقة وفزان وطرابلس والحقيقة والعمل ، ومن المجـــلات : مجلة الهدى الإسلامي التي تخرج عن الجامعة الإسلامية بالبيضاء ومجلة الإذاعة، والرواد .

٩ — قيام الإذاعة : كان الإيطاليون قد أنشأوا محطة إذاعية صغيرة في طرابلس ، وقد نسفها جنودهم أثناء تقهقرهم أمام الجيش الثامن ، ونسفوا أعمدة الإرسال القائمة ببلدة جنزور ، وفي عام ١٩٤٧ قامت إذاعة عربية في البلاد ، وبعد الاستقلال نهضت الإذاعة الليبية وقوي إرسالها وتعددت برامجها وزادت مخصصاتها ، وهي تؤدي رسالتها في تثقيف الشعب وتوجيهه توجيها صالحا مفيدا .

---

(١) ٢٠١ أعلام ليبيا .　　(٢) ١٨٧ المرجع نفسه .

١٠ — الأندية الأدبية ، وهى كثيرة فى المدارس والجامعات ، ومنها النادى الثقافى الأدبى فى طرابلس ، ونادى طلبة البعوث فى البيضاء ، وقاعة المحاضرات فى الجامعة الليبية ، والمركز الثقافى المصرى فى بنغازى ، ونظيره فى طرابلس ، وغير ذلك من الأندية الأدبية الموفورة فى البلاد .

١١ — دور الكتب : من سنن الحضارة الإسلامية إنشاء خزائن الكتب فى كل مدينة ومسجد ، وقد اشتهرت القاهرة والقيروان وطرابلس وقرطبة ودمشق ومكة والمدينة والبصرة وبغداد وشتى العواصم الإسلامية فى المشرق والمغرب بدور الكتب التى قامت فيها . وحسبنا أن نعرف أن أبا تمام عوقه البرد فى همذان ، فوجد فى إحدى خزائنها مايسر له اختيار حماسته ، وكذلك أقام ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) فى مرو الشاهجان فأفاد من اثنى عشرة خزانة بها ، فى كل واحدة آلاف المجلدات ، ويقول فى مقدمة كتابه المشهور « معجم البلدان » : « فكنت أرتع بها ، وأقتبس من فوائدها ، وأنسانى حبها كل بلد ، وألهانى عن الأهل والولد ، وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره ، مما جمعته ، فهو من تلك الخزائن . . » .

١٢ — إنشاء اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب ، وتخصيصها جوائز سنوية لأحدث ماينتجه الأدباء والشعراء الليبيون ، فى البحوث والدراسات ، وفى الأعمال الأدبية من قصة ومسرحية وشعر ورواية طويلة وشعر .

الحركة الأدبية وتطورها فى هذا العصر

— ١ —

يبدأ الأدب الليبى الحديث من عام ١٩١١ على وجه الحقيقة ، فى هذا العام أفاق الأدباء والشعراء الليبيون على سيل الغزو الإيطالى البربرى لبلادهم ، وعلى معارك البطولة والشرف التى مثلها المجاهدون والأبطال منهم على أرض الوطن ، وعلى قصائد أعلام الشعراء فى مصر والشام والعراق وفى كل مكان من الوطن العربى الكبير ومن العالم الإسلامى فى الحديث عن الحرب الطرابلسية . ووصف مواقف المجد والتاريخ والبطولة لليبيين الأحرار ، كقصائد شوقى ومحرم والرافعى والكاظمى وحافظ والرصافى وإقبال وغيرهم من أئمة الشعر وقادة الحركة الأدبيـــة فى الشرق العربى والإسلامى . . فأخذ الأدباء والشعراء الليبيون يسابقون هذه الأحداث ، يصغونها ويتحدثون عنها ، ويعبرون عن مشاعر أمتهم وآلامها فى هذه الحقبة الحافلة بالمفاجآت . .

واستمرت الحرب بين جيوش الغزاة المسلحين بكل أنواع الأسلحة الحديثة وبين المجاهدين العزل من السلاح ، وبدأ الاستعمار يضع قدمه على أرض الوطن الجريح ، وبدأ ينشب أظفاره فى كل ميادين النهضة والتقدم فى ليبيا يمزقها تمزيقا ، وبدأ ينتقم من الأبرياء فى كل مكان ، ويقاوم كل مقومات الأمة المجاهدة ، فحارب الدين ، وحارب اللغة العربية ، وحارب العلم والصحافة ، وحارب كل شىء يمكن أن يذكر الليبيين بماضيهم وتراثهم وبعروبتهم . . وبدأ الكثير من الأدباء والشعراء الليبيين يهاجرون إلى شتى بلدان الشرق العربى ، إلى مصر والشام والعراق وتونس والمغرب ، وإلى تركيا ، وإلى السودان ، وبدأت الحركة الأدبية تفتر فى داخل ليبيا قليلا قليلا ، وسرعان مامرت الأيام وتلاحقت الأحداث ، وطرد الإيطاليون من أرض ليبيا

المجاهدة الحرة عام ١٩٤٣ بعد اثنين وثلاثين عاما مملوءة بالكفاح والدماء وغالى التضحيات ، وبدأ المهاجرون يعودون إلى بلادهم شيئا فشيئا ، وبدأ الأمن والطمأنينة تسود البلاد ، ومع فجر الاستقلال بدأت الحركة الأدبية فى كل مجالاتها تزحف زحفا فى سبيل التقدم والازدهار ، متأثرة بعوامل كثيرة عديدة منها :

١ — رقى النهضة الثقافية فى شتى بلاد الشرق العربى ، وخاصة فى الجارة العربية الكبرى الشقيقة مصر .

٢ — تعدد المدارس والمذاهب الأدبية والشعرية فى العالم العربى فهناك التيار الكلاسيكى والرومانسى والرمزى والواقعى والسريالى والوجودى ، وهناك مدرسة شعراء الديوان ، مدرسة شعراء أبولو ، وهناك مدرسة عربية أخرى تطل بمذاهبها وتياراتها على العالم العربى من بعيد ، وهى مدرسة شعراء المهجر ، وهناك أعلام الأدباء والشعراء فى كل مكان ، يقرأ الليبيون أدبهم وشعرهم فى الدواوين والكتب والصحف والمجلات ويستمعون لهم فى مختلف الإذاعات والندوات ، ومن بينهم الزهاوى والرصافى والكاظمى وبشارة الخورى وأبو ريشة وشوقى وحافظ وشكرى والعقاد ومطران والمازنى وأبو شادى وطه حسين وهيكل وأحمد أمين وزكى مبارك والزيات وعلى محمود طه وإبراهيم ناجى والشابى والتيجانى بشير وجبران وإيليا أبو ماضى وإلياس فرحات والشاعر القروى وسواهم .

وهناك المجلات الأدبية الكبرى ومن بينها الرسالة والثقافة فى مصر والأديب والآداب فى لبنان وسواها .

٣ — البعث الجديد لتراثنا الأدبى القديم ، وقد نهض هذا البعث وقوى واستحكم بفضل مصر ، وجارتها فى ذلك لبنان والعراق وسوريا .

٤ — أثر الجامعات العربية الكبرى ، وفى مقدمتها الأزهر الشريف وجامعة محمد بن على السنوسى الإسلامية ، والجامعة الليبية ، وجامعة الزيتونة

ومدرسة القرويين ، وجامعات القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد والرباط وغيرها .

٥ — اتصال الأدباء فى ليبيا بمختلف النهضات الأدبية فى الشرق والغرب وتأثرهم بها .

٦ — رقى الدراسات الأدبية والعربية فى ليبيا ، ولكلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية بالبيضاء أثرها الكبير فى هذا المجال ، وعميدها الشيخ إبراهيم رفيدة من أكثر الشباب الليبى اطلاعا وأوسعهم ثقافة ، وأشدهم وقوفا على مختلف التيارات الأدبية والفكرية والإسلامية ، وقد تخرج من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف .

— ٣ —

وهكذا تمتد جذور النهضة الأدبية فى ليبيا إلى أعماق ماض بعيد ، فقد رافقت طلائع النهضة الأولى فى الشرق العربى ، وتلقت عنه الدفقات الإشعاعية التى بعثت روح الحياة فى هيكلها الجامد . وبدأت بواكير النهضة الأدبية فى العهد الجديد تتخذ مظاهر عديدة ، وأخذ الأدباء يسيرون فى تيارات النزعات التجديدية ، ويواكبون تطورات النهضة الأدبية فى العالم العربى ، وأخذ الشعراء ينظمون شعرهم الجامع لجزالة القديم ورقة الحديث ، والمحتوى على دقة المعنى وروعة التصوير . . حتى فى ميدان النقد والمقالة والقصة والمسرحية بدأ الأدباء الليبيون يزحفون مع أدباء مصر ولبنان وتونس وسوريا والعراق والمغرب والسودان ، وللأستاذ مصطفى المصراتى مجموعة قصصية عنوانها « مرسال » ، ولغيره من أدباء الشباب الليبيين مجموعات قصصية كثيرة (١) ... ومن احتفال الشعب الليبى بالرواية والمسرح قيام فرق كثيرة للتمثيل فى سنوات قلائل ، ومنها الفرقة القومية للتمثيل والموسيقى ، وفرقة الاتحاد .

---

(١) يتحدث الأستاذ على مصطفى المصراتى عن القصة فى الأدب الليبى =

الأدب الليبي المعاصر

عادت ليبيا العربية الحرة إلى الظهور وإلى الإسهام فى الحقلين الثقافى والأدبى من جديد وعادت لمدنها المزدهرة صبغتها العربية الإسلامية مرة أخرى ، وحفلت عواصمها فى الأقاليم الشرقية والغربية والجنوبية بمختلف النشاط الإنسانى والعقلى ، كما كانت من قبل فى مختلف عصورها الإسلامية . وأخذ المفكرون والأدباء والعلمـــاء فيها يعملون فى سبيل إيجاد بيئة ثقافية متطورة تقف فى مستوى واحد مع شتى البيئات الثقافية فى العالم العربى .

وكان لاستقلال الوطنى الليبى ، ولرعاية الإدريس لمختلف ألوان النشاط الدينى والفكرى والأدبى فى بلاده، ولغيرة المسئولين والمثقفين على مستقبل بلادهم أثر كبير فى هذا الاتجاه الجديد وفى نموه وازدهاره .

ووقفت جامعتنا ليبيا الفتيتان الجامعة الإسلامية فى البيضاء والجامعة المدنية فى بنيغازى وطرابلس تتكافحان من أجل تأسيس وإنماء البيئة الثقافية الجديدة فى الوطن الليبي العظيم .

ووراء ذلك كله وقف التـــاريخ الليبي العريق بكل حيويته وبطولاته وإشعاعه الروحى والفكرى والأدبى يؤيد حركة البعث الجديد فى ليبيا العربية المعاصرة، تاريخ ليبيا قبل الإسلام الذى تمثله مراكز الحضارة الإغريقية فيها وبخاصة مدينة قورنى التاريخية ذات الشهرة العالمية بآثارها وحضارتها

= فيقول : مقومات القصة فى ليبيا كثيرة ، وينابيع القصة والمسرحية وفيرة ، فقد خلقت منها الأحداث مسرحا لروائع القصص (راجع ص ٧ - ١٣ لمحات أدبية عن ليبيا) .

ومفكريها وفلاسفتها وعلمائها وجامعاتها ، والذى تمثله مراكز الحضارة الفينيقية والرومانية فيها كذلك فى مختلف عصورها . وتاريخها بعد الإسلام فى شتى بطولاته ومواقفه وروائع آثاره وعظمة انتصاراته وذروة إبداعه وإثرائه للحضارة العربية الإسلامية ، ثم تاريخها المعاصر كذلك بكل ماحققه من أعمال وماشارك فيه من نضال وماناله من نصر قومى رفيع على كل عوامل التخلف والاحتلال والجمود ، وكانت الانتصارات الليبية فى خلال القرن العشرين على جيوش الاحتلال الإيطالى مضرب الأمثال فى كل مكان على حيوية هذا الشعب وقدرته الفائقة على الاحتفاظ بمكاسبه وحريته وعروبته ودينه، وعلى مدى تغلغل الروح الوطنى فى نفوس المواطنين وإيمانهم بربهم ودينهم ووطنهم ، وحبهم للحرية التى هى جزء لايتجزأ من حياتهم .

هذه العوامل كلها هى من مقومات الأدب الليبي المعاصر ، الذى شارك فى إبداعه وعمل على ازدهاره أجيال كثيرة من أدباء ليبيا المعاصرين، شبابهم وشيوخهم على السواء .

وقد ظهرت فى هذا الأدب آثار المحاكاة للآداب العربية المتجددة فى مختلف شعوب العالم العربى وبخاصة مصر الجارة الكبرى الشقيقة لليبيا ، وتأثير الأدباء والشعراء والمفكرين المصريين فى ثقافة ليبيا المعاصرة وفى شتى ألوان الأدب وفنونه فيها واضح جلى ، وإن كان هناك تأثيرات مختلفة للأدب المهجرى وللأدب الغربى وللآداب العالمية إلا أنها ليست من الظهور والقوة بمكان كبير .

والشعر الليبى اليوم يحلق فى الجانب الغنائى والوصفى والوطنى والقومى، وقد جدت آداب اجتماعية وقصصية وتاريخية إلا أنها لاتزال فى طور النمو والتكوين ، والنقد والأدب المسرحى لايزالان فى مرحلة النمو كذلك .

ومشاركة الأدباء الليبيين فى مجالات العروبة والإسلام مشاركة فعلية مؤثرة واضحة .

ومع تضافر كل العوامل الممهدة لنهضة الأدب وازدهاره وتقدمه فى هـذا الإقليم العربى الكبير فإننا نتطلع إلى مستقبل عظيم مزدهر للأدب الليبى المعاصر .

ولقد حبا الله ليبيا بطبيعة خلابة ، فوق ماحباها به من تاريخ عريق وحضارات قديمة وآثار خالدة، والليبى على العموم يمتاز بالذكاء والمواهب العالية والفطرة السليمة وبروح التدين العميق ، وبحب البساطة ، وبالقدرة الفائقة على الإبداع فى شتى مجالات الأدب والثقافة . وإذا كان ميله إلى التقليد ظاهرا ، فإن هذا التقليد دائما سلاحه إلى الأصالة والشخصية المستقلة والإبداع العقلى .

ومن كل هذه الصفات العقلية نرجو للأدباء الليبيين مستقبلا طيبا فى خدمة آداب بلادهم خاصة والأدب العربى الجديد بصفة عامة .

وإذا كان الرخاء الكبير الذى حققه نضال الإدريس وشعبه لهذه البلاد عاملا كبيرا مساعدا على خدمة الثقافة والأدب وعلى العمل على نموهما وازدهارهما ، فإننا نرجو أن يبتعد شباب هذه البلاد عن الآثار الضارة التى يخلفها أمثال هذا الرخاء فى بعض المجتمعات الأخرى ، من أمثال الكسل العقلى وترك أعباء البحث والنشاط الفكرى وعدم تحمل المسئولية الأدبية ، وغير ذلك من النتائج الضارة التى تعوق نهضة الأمم وتقدمها .

ومن إلهام النضال القومى فى ليبيا المتمثل فى تصميم هذا الشعب على بناء حاضر قوى ومستقبل مزدهر، نتطلع إلى الشباب الليبى بكل مقدراته وحيويته وقوته، لأنه عدة هذا الوطن فى معركة البناء والتجديد، ولأنه دائما الذى يبنى النهضات القومية والفكرية والأدبية ويغذيها بروحه وطموحه وقوته .

وعندما يكثر خريجو جامعات ليبيا ، لاشك أنهم سوف يحملون أمانة الأدب الليبي المعاصر وسيبشرون بحياة أدبية جديدة واضحة المعالم والشخصية، ظاهرة السمات والألوان الفنيـة ، وسوف يعملون فى مجال الإبداع الفنى والأدبي والإنسانى بكل مافيهم من طاقات .

إن المستقبل واسع مفتوح الأبواب والمنافذ أمام الأدب الليبي الجديد ، وأمام الأدباء الليبيين ذوى الميل إلى الأصالة والموهبة والحرية الفنية .

وعندما تنمو الصبغة الإنسانية والإسلامية وتستـكمل شتى عناصرها ومقوماتها فى هـذه البلاد ، لاشك أننا سوف نرى حينئذ من المواهب فوق هذه التربة الزكية الطاهرة أضعاف أضعاف مانحلم به اليوم .

والمستقبل قريب ، وهو يتمثل فى خيوط الفجر الجديد الذى تنسجه أيدى الحاضر الحر والغد المشرق بتوجيه من الإدريس العظيم ومن جيل النضـــال الحر القومى المنتصر فى وطن الأحرار والتاريخ ، فى ليبيا العربية المسلمة .

ونحن لانزعم أن الأدب العربى المعاصر فى ليبيا قد بلغ كل مانتمناه له من قوة وازدهار ، فما زال أمام أدباء ليبيا الكثير من الجهود الشاقة لبلوغ مثل هذه المرحلة ، وإلى أن يظهر من الأدباء والشعراء والنقاد طبقات جديدة من خريجى المدارس (١) والمعاهد والجامعات فى الوطن الليبي نفسه

---

(١) يبلغ عدد الطلاب عام ١٩٦٥ فى المرحلة الابتدائية بليبيا ١٥٤٥٩٢ وعدد المدرسين فيها ٥٠٨١ ، وعدد طلاب المرحلة الإعدادية ١٧٥٤٨ وعدد المدرسين فيها ٩٦٤ . وعدد طلاب المرحلة الثانوية ٢٥٩٩ وعدد المدرسين فيها ٣٠٠ ، وعدد طلاب الفنية الإعدادية ٩١٦ طالبا وطلاب الفنية الثانوية ٢٧٤ طالبا ، وعدد طلاب معاهد المعلمين والمعلمات ٢٤٠٧ طالبا وعدد المدرسين فيها ١٦٠ مدرسا .

ومن خريجى جامعات الأمم العربيــة وأمم الغرب التى يكمل فيها الشباب الليبى تعليمه ، فإن الحركة الأدبية سوف تستمر ، بفضل الدفع الذاتى ، وبفضل رعاية الإدريس وحكومته وشعبه للنهضة الثقافية والأدبية ، ولكن اليوم الذى يشعر فيه الشباب الليبى بمسئوليتهم ، ويسيرون فى ميدان الطموح والجد والمثابرة ، ويتفرغون للأدب والشعر والدراسات العربية ، هو اليوم الذى سوف تزدهر فيه الحركة الأدبية ، وتؤتى أكلها الطيب .

وأعلام الأدب الليبى المعاصر (١) من أشهرهم : خليفة التليسى ، وعبد الله القويرى ، وفؤاد كعبازى ، وعلى مصطفى المصرانى .

والنهضة الأدبية المعاصرة لا تزال تسير بخطى ثابتة نحو التقدم والازدهار معتمدة على بواعث الإحياء الأدبى الجديد فى الوطن الليبى العظيم ، ويساندها كل المسئولين فى ليبيا ، وبخاصة رجال الفكر والثقافة ، من أمثال الشيخ عبد الحميد الديبانى شيخ الجامعة الإسلامية الحالى ، والشيخ محجوب المنصور شيخها السابق ، ومصطفى بعيومدير الجامعة الليبية ، ووزراء التربية والتعليم ، وسواهم .

---

(١) راجع فى مجلة الأديب اللبنانية (عدد ديسمبر ١٩٦٦) مقالا الأديب الأردنى الأستاذ عيسى الناعورى بعنوان « الحركة الأدبية فى ليبيا » .

بعض سمات الأدب الحديث

١ ـ اختلاف أذواق الأدباء :

لقد اختلفت أذواق الأدباء بحكم اختلاف ثقافتهم وميولهم العقلية والمؤثرات فى تكوينهم الأدبى .

فلقد تأثر الأدباء فى ليبيا الحديثة بعدة مؤثرات ثقافية متباينة :

« فى مطلع(١) القرن الحالى نجد المجتمع الليبى تتنازعه ثقافتان ، وتؤثر فيه حضارتان :

حضارة تركية تعود بتقاليدها الموروثة إلى القرون الوسطى وعصر النهضة ، ليست هى بالعربية وإن اتسمت فى بعض ملامحها بالمظهر الإسلامى ، وثقافة تركية ليست لغتها وأساليب تفكيرها بالعربية مادامت لها ثقافاتها فى لغة الأتراك وآدابها ذات المفهوم التركى الطورانى ... وحضارة عربية أصيلة طابعها العروبة وروحها مستمدة من تعاليم الإسلام ، وثقافة عربية لغتها وآدابها وتراثها فى لغة الضاد . . . وبالرغم من اختلاف الحضارتين فى جذورهما التاريخية ، وتباين الثقافتين فى اتجاهاتهما الفكرية ، فإن تجاورهما وتمازجهما واتحادهما فى أكثر من مظهر ، قد قلل من حالات القلق النفسى للمجتمع الذى ينشأ عادة من تصادم الحضارات . لقد كانت الثقافة والحضارة التركية ترتكزان فيما ترتكزان عليه على مبدأ الخلافة وهى مظهر عربى إسلامى ، وكانت صوفية الاتجاه إلى حد بعيد ، وهذا أيضا هو اتجاه الحضارة والثقافة العربية فى ذلك العهد ، وكانت الحضارة التركية إسلامية

---

(١) من مقال بعنوان « أزمة الثقافة فى المجتمع الليبى الحديث » لمحمد مصطفى بازامة ـ مجلة الرواد الليبية .

العقيدة والتشريع وهى فى هذا لاتختلف عن الحضارة العربية آنذاك وهذه الأسس الحضارية - الثقافية المشتركة - بين الحضارتين قللت كما سبق أن ذكرت - من حالات القلق النفسى المجتمع دون أن تقضى عليها لتعدد الفروق الأخرى المتصلة بالأخلاق والمثل والتقاليد والمفاهيم وغير ذلك من شئون الفكر والحياة .

وبنهاية سنة ١٩١١ أطلت على ليبيا حضارة وثقافة ثالثة جاءتها فى ركاب الغزاة المستعمرين ، ذات جذور حضارية وتاريخية مختلفة فى كل شىء عن الحضارتين والثقافتين السابقتين، ومعادية لها فى نفس الوقت ، أساسها الدينى المسيحية لا الإسلام ، وثقافتها الرومانية ذات الجذور اللاتينية اليونانية لاصلة لها بتراث العرب أو الأتراك لامن حيث اللغة ولامن حيث المضمون الحضارى الثقافى العام .

وإذا كان المجتمع الليبي قد قاوم التأثير الحضارى الثقافى لهؤلاء الغزاة لاقتران مجيئهما بالغزو المسلح ، فإن أصحاب هذه الحضارة والثقافة الحادثتين قد عملوا على فرضهما على المجتمع الليبي مستغلين سلطانهم ونفوذهم السياسى على البلاد وأهلها .

وإذا كانت هـذه الحضارة الإيطالية الحادثة قد فشلت فى القضاء على الأسس الحضارية السابقة لها فانها لم تعد مع ذلك فجوات أوثغرات تتسرب منها إلى بعض طبقات المجتمع، ولاسيما ناشئة جميع الطبقات . . وفى السنوات الأخيرة التى سبقت الحرب العالمية الثانية كنت تجد بين الليبيين شبابا يجيد الإيطالية أكثر مما يجيد لغة قومه ، ويحاكى فى ملبسه ومأكله ومأواه وأسلوب حياته الإيطاليين ولا يرى فى لغـة وثقافة آبائه ، ولا فى تقاليدهم وظروف حياتهم ، مايستحق أن يحرص عليه . وكان من الممكن أن يتزايد عدد هؤلاء مع الأيام لو مد لأصحاب هـــذه الحضارة فى الزمن أكثر مما بقوه كسادة يحكمون البلاد .

ولقد كانت هناك فرصة كبرى لتعايش الحضارتين العربية والتركية فى المجتمع الليبى بعامل الزمن المديد الذى امتد بضعة قرون . ولكن ليس هذا التعايش بممكن مع الحضارة ذات الجذور التاريخية الحضارية القائمة على أساس عقائدى يختلف كل الاختلاف عن الأساس العقائدى الذى قامت عليه الحضارتان التركية والعربية ، وعلى دعائم ثقافية منفصلة تمام الانفصال عن الدعائم الثقافية لأى من الثقافتين السابقتين ، لذلك بدأت بوادر الأزمة الثقافية قبل الحرب العالمية الثانية فى المجتمع الليبى بين الجيلين اللذين اختلفت أيديولوجية نشأة أحدهما عن الآخر .

ومع نهاية الصراع المسلح بين المحور والحلفاء فى البلاد لغير صالح الإيطاليين، انتهى الضغط الحضارى الثقافى الذى جثم على المجتمع الليبى قرابة نصف قرن من الزمان وإن ترك وراءه رواسب حضارية وثقافية لا يمكن إغفالها ، وقد تراكمت هذه الرواسب الحضارية الثقافية إلى جانب الرواسب الحضارية والثقافية للحضارتين التركية والعربية ، غير أن انحسار المد الثقافى الحضارى الإيطالى لم يمكن المجتمع من العودة للتأثر بحضارتيه السابقتين أو أحدهما . ولا ترك المجتمع الليبى فى حالة فراغ كاملة ليس له من مؤثر حضارى غير رواسب الحضارات الثلاث ، فقد سيطرت على أقاليم المملكة الثلاثة سلطات احتلال انجليزية وفرنسية استمر حكمها للبلاد فترة من الزمن قصيرة لم يصحب حكمهم مد حضارى فرنسى وانجليزى مؤثر لاصطباغ حكم هذه الفترة بالطابع العسكرى العازل نفسه بنظمه الصارمة عن التأثر وعن التأثير الاجتماعى المباشر . على أن ما صاحب هذا العهد من انهيار للستار الحديدى المفروض من قبل السلطات الفاشستية واتصال المجتمع الليبى مباشرة بالحضارة والثقافة العربية الحديثة التى اتخذت لها طابعا معينا فى مصر وآخر فى تونس وثالث فى الشام ورابع فى العراق .

وهى جميعها حضارات عربية قائمة على أسس حضارية وثقافية واحدة فى جميع هذه البلدان .

وإذا كان المجتمع الليبي قد تخلى بسرعة مذهلة عن الكثير جدا من المظاهر والمفاهيم الحضارية والثقافية التي حاولت إيطاليا الفاشستية بكل ثقل سلطانها أن تعمق جذورها بين جماعاته وأفراده طيلة فترة حكمها الدكتاتوري المستبد، وإذا أقبل الليبيون في استجابة كلية للتأثير الحضاري الثقافي العربي الحديث، فلأن في أصالة عرقه العربي عروبة قويت مع الصراع ضد محاولات المستعمر، ولأن المجتمع الليبي وجد في الاستجابة لتأثير هذه الحضارة العربية بعد أن تحطم السور الحديدي المفتعل الذي أقامه الاستعمار عودة الفرع إلى أصله، والجزء إلى كله .

وإلى جانب هذه الحضارات والثقافات الأربع نجد المجتمع الليبي قد فتح ذراعيه للعالم يستقبل نماذج حضاراته المختلفة وثقافاته المتعددة، وأوفد ويوفد طليعة شبابه إلى مختلف بلدان العالم للتزود بالعلم والمعرفة العالية، وقد عاد بعض هؤلاء، وقد تأثروا بحضارات وثقافات مختلفة : إيطالية، فرنسية، انجليزية، أسبانية، أمريكية، المانية .. الخ . وكل منهم قد درس بلغة وعاش حياة أهل البلد التي أثرت على تكوينه العقلي والاجتماعي، وهذا التأثير بكل تأكيد مغاير لما عليه بلاده وقومه . وبالرغم من قلة عدد هؤلاء نسبيا في الأمة فإن كونهم طليعة مثقفيها، وقادة حركتها الفكرية الثقافية، جعلهم أو سيجعلهم يؤثرون في مجتمعهم بعض التأثير .

هذه الحضارات جميعها تعاقبت وتقابلت وتعايشت أو تنافرت وعاشها المجتمع الليبي في مدى أكثر قليلا من نصف قرن واحد من الزمان . وجميعها باستثناء الأولى والثانية قد طرأت على البلاد وأهلها طفرة، وفرضت وجودها إما بقوة السلطان العسكري وإما بقوة النفوذ العلمي نتيجة تكوين عقليات الناس وبمختلف وسائل التثقيف والاعلام، وتزاحمها في جيل واحد ومجتمع واحد، دون أن تنصهر جميعا في حضارة واحدة مشتركة هو الذي سبب ويسبب ما بينها من تباين واختلاف في النظرة الأخلاقية للمفاهيم

الاجتماعية وأوضاع المجتمع .. هذه الأزمة الثقافية التى يعيشها مجتمعنا فى النصف الثانى من القرن العشرين » .

وقد ترك كل ذلك ظلاله على الأدب الليبى الحديث . وإن كان أثر العربية وثقافاتها وأذواقها هو السائد فى الأدب الليبى المعاصر .

٢ — القلق والسأم :

وهناك سمة أدبية عامة فى الأدب العالمى المعاصر ، هى سمة القلق والسأم ، وهذا الطابع قد ترك آثاره أيضا فى الأدب الليبى المعاصر ، حيث ظهر الطابع المتشائم المضطرب الذى تتسم به كل من القصيدة والقصة .

ولنأخذ مثلا على ذلك سطور من قصة قصيرة لأحد الكتاب الشباب تبين لنا مدى الحيرة والضياع الذى تعبر عنه قصته « الدوامة » :

« دس أنفه وسط كتلة المتفرجين لا رغبة فى أن يعرف نتائج المباراة ولكن كى يفقد وجوده يريد أن يذوب أو يختفى .. وما أن هزت الكرة إحدى الشباك حتى ثار حماس الجماهير وانقلب الهدوء إلى ضوضاء لا حدود لها .. وانتبه « منصور » إلى نفسه فترك مكانه شاقا طريقه وسط الزحام وكأنه هارب خرج من الباب واحتضن الهدوء فى ارتياح . إنه يكره الوحدة ويكره الضوضاء فى الوقت نفسه ، يرتاح فقط لمجموعة صامتة لا تتكلم . ومرة أخرى وجد نفسه وحيدا يجرى تسوقه دوامة من الوساوس باحثا عن الصمت ، وأثناء جريه رمق إحدى المركبات العامة المزدحمة بالناس فرمى ثقله كله بداخلها وكأنه يدفن نفسه ، ويغطيها بالأجساد . إنه لا يعرف بالتحديد لماذا فعل ذلك ، ولا يهمه المكان الذاهب إليه ، إنما يريد أن ينسى وجوده » .

٣ — ظهور المدارس الحديثة فى الأدب والشعر الليبى المعاصر :

وهذه المدارس معقدة ومنوعة من كلاسيكية وررومانسية وواقعية ، ومن شعر عمودى وشعر جديد ، ومن مختلف مذاهب الآداب المعاصرة فى الغرب وفى الشرق على السواء . . وسوف نعرض لذلك بالتفصيل فيما يلى من فصول .

٤ — اختلاف مضمون الأدب عن مضمونه فى العصور السابقة ، واهتمام الأدباء الليبيين بالحياة وبمجتمعهم ، وبالعمل من أجل بناء أمتهم ، وإثراء الفكر فيها ، وإضافة الجديد من الثقافات الإنسانية إلى ثقافة بلادهم ، والاهتمام بمشكلات الإنسان الليبى والحديث عنه ، والاستماع إليه . . وهذا التيار الإنسانى فى الأدب حيوى وضرورى فى تقدمه وازدهاره ونهضته ، يقول سارتر :

ليس هناك أشأم من الإنشاء الأدبى الذى يسمونه النثر الشعرى ، وهو يتلخص فى استعمال الكلمات من أجل الأنغام المظلمة التى تصدى حولها ، والتى هى مصوغة من معان مبهمة تتناقض والمفهوم الواضح . . ويقول كذلك : الأدب دائما وأبدا وظيفة اجتماعية .

الباب الثالث

النثر فى الأدب الليبى الحديث

الفصل الأول

القصة فى الأدب الليبي المعاصر

عنى الأدباء الليبيون بكتابة القصة شعرا ونثرا ، ومن كتاب القصة النثرية : على مصطفى المصراتى ، وزعيمة البارونى ، وكامل المقهور ، وأحمد العنيزى وعبد السلام شلوف ؛ ومن كتاب القصة الشعرية الشاعر أحمد رفيق المهدوى .

وقد كتب الأستاذ على مصطفى المصراتى فى مقدمة كتابه ولمحات أدبية عن ليبيا، يقول عن القصة فى ليبيا : إن جميع مقوماتها موجودة متوفرة لدى الأدباء الليبيين ، فتاريخ ليبيا القديم وتاريخها العربى الإسلامى ، وتاريخ تفوقها البحرى فى عهد أسرة القره مانلى ، وتاريخ كفاحها ضد الاستعمار الإيطالى، كل ذلك مادة حية زاخرة وحافلة بموضوعات قصصية مثيرة .

وللأستاذ المصراتى مجموعته القصصية مرسال ؛ وهى ذات صبغة قومية واجتماعية ، وتحتوى على اثنتى عشرة قصة من بينها قصة « مرسال » التى سميت المجموعة بها ، ومرسال اسم رجل ليبى مكافح مناضل فى سبيل العيش ، وتزوج ورزق بولد سماه عنتر ، وكان أمله أن يصير بطلا شجاعا كعنتر . وبعد أن بلغ عمر عنتر بضع سنوات مرض واشتد مرضه فذهب والده يبحث عن طبيب ليرى ابنه المريض ، وأخذ يطوف فى مدينة طرابلس بالأطباء واحداً واحداً ، فلا يلبى واحد منهم نداء الإنسانية ولا دعوة مرسال له ليرى ابنه المريض فى كوخه ، حتى لبى آخر الأمر طبيب شاب دعوته ، وذهب معه فكشف عليه وكتب له (روشتة) دواء ومنحه بعض المال ، وذهب مرسال ليأتى بالدواء ، فوجد الصيدليات ما بين مغلقة وبين مهملة ، وبين أخرى ليس بها الدواء المطلوب ، إلى أن ذهب آخر الأمر لصيدلية وجد

الدواء لديها لكنه ليس معه كل ثمن الدواء ، فذهب إلى أصدقائه على المقاهى يبحث عنهم ليقترض من أحدهم ثمن الدواء فوجدهم سكارى ، ولم يلب أحد منهم له طلبا ، ففكر فى الطبيب الشاب ، فذهب إليه فوجده فى السينما فانتظره حتى عاد مساء ، وطلب منه أن يكمل له ثمن الدواء ، ولبى الطبيب الإنسان طلبه ، ومنحه باقى ثمن الدواء ، فهرول مرسال إلى الصيدلية واشتراه ، وجرى إلى كوخه فوجد ابنه عنتر قد فارقت روحه الحياة ، وكان ذلك ليلة العيد ، العيد الذى لا ينساه ؛ ولعل الأستاذ المصراتى كان يقصد من ورائها تصوير حياة بعض المكافحين من أبناء الوطن الليبى ، أو لعله كان يقصد من ورائها نقد أخلاق بعض الأطباء فى وطنه ، أو لعله يقصدهما معا ، ولكن الأستاذ المصراتى كان يجب أن يقف وقفة طويلة بعض الشىء عند هذا الطبيب الشاب ، وفى هذه القصة ما يثير التساؤل ، فقد ذكر كاتب القصة أن الطبيب منح مرسال نصف جنيه لشراء الدواء ، ثم ذكر أن مرسال حين ذهب إلى الصيدلية الأخيرة التى وجد عندها الدواء لم يجد فى جيبه إلا قرشين ، وبعد جهد ووقت منحه الطبيب الشاب جنيها آخر ؛ وذلك كله يدل على أنه كان فى جيب مرسال أكثر من قرشين .

وفى صدر مجموعة مرسال قصة رائعة بعنوان « غائب فى الحبشة » تحكى قصة شاب ليبى جنده الطليان للحرب فى الحبشة فانضم إلى الحبشيين وحارب فى صفوفهم أعداء وطنه الإيطاليين وأسرته القوات الإيطالية وأعدمته . . والقصة تصور أمه العجوز وقد جاءت إلى مقهى ومعها ظرف وورقة ووقفت أمام الكاتب وطلبت منه أن يكتب خطابا إلى ابنها منصور فى الحبشة الذى غاب عنها عشرين عاما دون أن يعود أو يكتب إليها خطابا وسأل عن بقية اسم منصور فقالت له : منصور بن حليمة ؛ كان أبوه من شهداء معركة الهانى بالقرب من طرابلس ضد الايطاليين ، وظلت تتحدث عن أبيه الفارس البطل طويلا ، وسألها عن عنوانه فى الحبشة فقالت له : اكتب

(بر الأحباش) .. والقصة ذات مضمون وطني رائع ، وهي حقا من أجمل قصص المجموعة .

وللأستاذ المصراتي مجموعة قصصية جديدة صدرت بعنوان « حفنة من رماد » .

والمصراتي من خيرة أدباء ليبيا وشبابها العاملين في حقل الثقافة والأدب ، تخرج من الأزهر الشريف ، وعاد إلى بلاده مع فجر الاستقلال يسهم بروحه ونشاطه وجهده في بناء وطنه ، وشغل وظائف عــدة في الصحافة والإذاعة ، وانتخب نائبا في مجلس الأمة الليبي عدة مرات ، وقد صرف أغلب وقته في الاطلاع والقراءة والكتابة وهو كاتب منتج طرق أكثر فنون الكتابة في الأدب والصحافة ومختلف شئون الفكر والثقافة ، ويحتل في ميدان القصة الليبية مكانا مرموقا ، وهو ينقلنا مع أبطال قصصه إلى أعماق المشكلات الشعبية في وطنه ليبيا ، بأسلوب شيق محبب ، ولمحات بارعة في الوصف والتحليل والنقد والدعوة إلى التقدم .

وله في الترجمة الأدبية ، وفي الدراسات التاريخية ، وفي فن المقالة ، وبخاصة المقالة الصحفية باع طويل ..

وللعلي مصطفى المصراتي الكثير من المؤلفات في الأدب ، ومنها :

١ — أعلام من طرابلس .
٢ — لمحات أدبية عن ليبيا .
٣ — إبراهيم الأسطى عمر .
٤ — جحا في ليبيا .
٥ — صحافة ليبيا في نصف قرن .
٦ — غومه فارس الصحراء .

٧ — كفاح صحفي ـ أبو قشة وجريدته في طرابلس الغرب .

٨ — أسد بن الفرات : فاتح صقلية .

٩ — قنديل ومولد .

١٠ — دراسة في الأدب الشعبي .

١١ — المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية .

١٢ — مرسال وقصص ليبية أخرى .

١٣ — أحمد الشارف .

١٤ — ابن حمديس الصقلي .

١٥ — ابن غلبون المؤرخ .

وسوى ذلك من المؤلفات .

ومن القصص الجديدة التي ظهرت في ليبيا أخيرا : المجموعة القصصية «البحر لاماء فيه» لأحمد إبراهيم الفقيه وفي صدرها كلمة عن القصة الليبية للأستاذ كامل المقهور جاء فيها أن القصة الليبية كانت أقرب الأشكال الأدبية مواكبة للنهضة الثقافية العربية وأكثرها تمثيلا الوجه الثقافي لهذا الشعب ، مما جعلها تتبوأ هذه المكانة التي تحتلها .

وظهرت مجموعة قصصية أخرى بعنوان الجدار الأديب يوسف الشريف .

والكاتبة الأديبة القصصية ، زعيمة سليمان الباروني ، بنت الزعيم الوطني الخالد «سليمان الباروني» مجموعة قصصية جميلة عنوانها «القصص القومي» كتبتها عام ١٩٥٣ ، ونشرت بعضها في جريدة «طرابلس الغرب» ، ومجلة «صوت المربي» ، ومجلة «هنا طرابلس الغرب» ، ثم نشرتها عام ١٩٥٨ ،

حيث طبعت فى المطبعة العالمية بالقاهرة ، وتحتوى على إحدى عشرة قصة ذات مضامين قومية وتاريخية واجتماعية ، وقصتها « قدسية الأمومة » رائعة حقا ، وتصور قصة امرأة ليبية اسمها « سليمة » مات زوجها الشاب وترك طفلا صغيرا اسمه « بلود » ، ورعته أمه حتى كبر وتزوج وأنجب أولادا ثم ظهر عقوقه لأمه ، فخرجت أمه إلى غابة بعيدة عن القرية « قرية أفطرس » فى طرابلس الغرب ، وتعلق بها حفيدها ، وحاولت أن يعود إلى أبيه وأمه فرفض ، وقادها الطريق إلى غابة معشوشبة وكان الفصل صيفا ، فجلست وأكلت هى وحفيدها بعض تمرات كانت معها وشربت من كوز صغير أتت به معها ، وظلت على ذلك ، ونفد التمر ونفد الماء ، فتضرعت إلى الله ، حتى وهبها عين ماء ، ورزقها تمرا ، وأخذت تعبد الله وتنسج على مغزلها الصغير ، وعثر الرعاة بالطفل فى المكان ، فأخبر أباه الذى كان يبحث عنه وعن أمه فأسرع إليهما ، ورفضت أن تعود معه ، وبنى لها هو وأهله حجرة مشمسة ، وأتوا لها ببعض معزات ، وظلت تعبد الله ، وأهل القرية يزورونها فيجدون عندها الخير والبركة والتقوى ، وهى تكرم الوافدين ، وتطعم المسافرين ، وتبارك خطواتهم حتى لقبوها « أم القـرَب » لسماحة طبعها وجودها ، ومرض حفيدها ومات ، فحزنت لموته ، وتوفيت بعده بقليل ، وأصبح ضريحها مزارا ، وبنى الناس عليها مسجد أم القرب الشهير .

هذه هى صور وألوان من القصة النثرية فى الأدب الليبى المعاصر ، نكتفى بها فى هذا المقام . . .

فنون أخرى للنثر

النقد ـ الدراسات الأدبية ـ المسرحية ـ المقالة

تعددت ألوان النثر الأدبى الحديث فى ليبيا فشملت فيما تناولته : النقد ، والدراسات الأدبية ، والمسرحية ، والمقالة .

أما المسرحية فقد كتبها الأدباء الليبيون نثرا ، كما رأيناهم أيضا كتبوا العديد من المسرحيات الشعرية . . . والمسرحية النثرية لصعوبتها قليلة فى الأدب الليبى ، وقد أدى إلى نشوئها ؛ قيام المسرح الليبى ، ووجود الإذاعة ، وعما قريب يوجد التليفزيون أيضا ، وكانت المسرحيات المترجمة عن الآداب الأوربية والمسرحيات التى أخذت عن الآداب العربية المعاصرة هى السائدة فى ليبيا ، ثم بدأ الأدباء الليبيون يكتبون المسرحيات ، ومن بينهم : عبد ربه الغناى . وكان قد درس الفن المسرحى فى المعهد المسرحى العالى فى القاهرة ، متتلمذا على دربنى خشبة وغيره من أساتذته .

وكذلك غيره من أدباء ليبيا المعاصرين .

والدراسات الأدبية والنقد من أعلامها الأديب الليبى الكبير خليفة التليسى فى دراسته «رفيق شاعر الوطن» ، وفى دراسته الأخرى عن جبران والشابى ، ومن الأعلام فى هذا الباب أيضا الأديب الليبى على مصطفى المصراتى ، وقد نبغ أيضا فى فن النقد وتحقيق التراث .

وأما الدراسات العلمية والتحقيق فمن أعلامه فى ليبيا كذلك : مصطفى بعيو ، والشيخ طاهر الزاوى ، وقد ولد عام ١٨٩٠ م فى الحرشا إحدى قرى الزاوية بطرابلس ، والتحق بالأزهر الشريف بعد سن العشرين عام ١٩١٢ ،

ثم رجع إلى بلاده عام ١٩١٩ ، واشترك فى الجهاد الوطنى ثم رأى أن لابد له من الهجرة ثانية ، فعاد إلى مصر عام ١٩٢٤ ، ونال شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٢٨ ، ونال الجنسية المصرية عام ١٩٤٠ ، ووظف فى وزارة الأوقاف المصرية فى العام نفسه . وقد ألف كتبا كثيرة عن بلاده منها : كتاب أعلام ليبيا ، وتاريخ الفتح العربى فى ليبيا . وقد قام الزاوى بنشر الجزء الثانى من كتاب «المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب» من تأليف أحمد النائب الأنصارى ، فأسدى بذلك فضلا على المكتبة الأدبية والتاريخية الليبية .

وله كتاب مختار القاموس وهو فى ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح وقد نشر فى القاهرة فى أربعة مجلدات .

وقـــد شرح وحقق تخميس الإمام الصوفى البهلول لقصيدة الإمام عياض فى التصوف .

وأما فن المقالة فقد ذاع فى ليبيا ونبغ فيه الكتاب ، وتنوعت المقالة من مقالة صحفية وسياسية ودينية ومقالة وصفية إلى ماسوى ذلك .

ونحن نرجو أن ينهض البحث الأدبى ويزدهر ، ويقوم شباب الجامعات الليبية بأعبائه . ولهم من تشجيع الدولة ورعايتها النصيب الموفور ، فضلا عن أن لهم فى مكتبة الأوقاف فى طرابلس وفى المكتبة الحكومية فى طرابلس أيضا . وفى مخطوطات مكتبة جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية فى البيضاء ، مددا يعينهم على البحث ؛ وفى هذه المكتبات وفى دار الكتب المصرية ومكتبات استامبول بتركيا ، ومكتبات القيروان وتونس وفاس ودمشق وبغداد ، نفائس المخطوطات التى تفيد فى البحث عن ماضى وحاضر ليبيا العلمى والثقافى والأدبى .

ويقول على مصطفى المصراتى من حديث له (١) : « فى ليبيا بوادر حركة أدبية ومعالم نشاط فكرى من مختلف أنواع العطاء . ويتمثل هذا النشاط فى أقلام شابة ومجموعة من العاملين فى مجالات الإبداع الفنى ، فهناك القصة والدراسة العلمية والنقد الأدبى والشعر بجناحيه القديم المحافظ والحديث المنطلق . والمطابع تخرج على الدوام إنتاجا ليبيا فيه عطاء وإبداع ، وفيه مايحرك أقلام النقاد أيضا » .

« فمن القصاصين المبدعين : بشير الهاشمى وكامل المقهور وأحمد الفقيه وغيرهم ، ومن النقاد والأدباء الموضوعيين : خليفة التليسى وله دراسات نقدية تعتبر من أهم المراجع فى الأدب المعاصر مثل كتابه عن « جبران والشابى » وكتابه عن « رفيق المهدوى شاعر الوطن الليبى » وترجماته عن الأدب الإيطالى . ومن الشعراء الشباب المعاصرين : راشد الزبير السنوسى وخالد زغبية وعلى الرقيعى الذى توفى منذ عامين وعلى صدقى عبد القادر . ومن « الكتاب : القويرى ، ولا ننسى أديبا وفنانا يكتب الآن من أوروبا ، وهو يطوف بها منذ سنوات ، هو رجب النيهوم . وكذلك الكاتب على فهمى خشيم الذى أخرج الآن كتابا مترجما عن ليبيا يتحدث فيه عن هيرودیت أبى التاريخ ، كما ترجم « حسناء قورينا » وله كتاب أيضا عن المعتزلة . وهناك فؤاد الكعبازى الذى تغلب عليه صبغة الفن والشعر الغربى » .

« وهنا لانريد حصر الأسماء فهى كثيرة متوفرة ، إنما نريد أن نأخذ منها دلالة على الاتجاه نحو خلق حركة أدبية تعوض مافات الوطن الليبى تحت وطأة الاستعمار الغادر ، فليبيا بعد استقلالها ونيل حريتها أخذت

(١) مجلة الإذاعة الليبية ١٩٦٨

تعوض مافات، وتقطع شوطا طيبا فى الميدان الأدبى ولعل الصحافة الأدبية فى ليبيا ، ومنها مجلة (الرواد) والدراسات التى يتقدم بها الجامعيون الشباب، وهدير المطابع فى بيروت التى تخرج لنا كتبا قيمة بأقلام ليبية . . كل هذا يصور لنا جانبا من هذه الحركة الثقافية ؛ فضلا عن نشاط اللجنة العليا لرعاية الآداب والفنون التى تتبع وزارة الثقافة والإعلام الليبية ، وهذه اللجنة ترعى وتشجع المواهب والملكات الأدبية والفنية وترصد الجوائز ، وتقيم المسابقات والمهرجانات الأدبية والشعرية .

الفصل الثانى

من أعلام الأدباء الليبيين فى هذا العصر

إسماعيل كمالى (١)

١٨٨٢ — ١٩٣٦

ولد فى مدينة الخمس شرق طرابلس ، ودرس فى مدرسة إيطالية بها فى العهد العثمانى ، وبعد الاحتلال سافر إلى تركيا ، واشترك فى المفاوضات بين إيطاليا والمجاهدين عام ١٩١٩ بعد أن عاد إلى بلاده ، وتولى إدارة الأوقاف ، وأشرف على المدارس القرآنية ، وأولى مدرسة أحمد باشا عناية ، واختير عضوا فى مجلس بلدية طرابلس ، وبفضله أنشىء مكتب العرفان لتعليم العلوم العربية والإسلامية عام ١٩٢١ ، وكان عضوا فى إدارة المدرسة الإسلامية العليا التى أنشئت لتكون نواة أزهر جديد فى ليبيا ، وكان كمستشار للإدارة الإيطالية فى ليبيا ، وعنى بالمكتبة العامة ، وكتب فى تاريخ ليبيا كتبا قيمة ، منها: كتاب فى تاريخ قبائل طرابلس ، وآخر فى تاريخ الأسرة القره مانلية .

جدد كثيرا من مساجد طرابلس ، وعنى بتحسين المدارس القرآنية وشجع مدرسيها حتى يحافظ النشء على الكتاب الكريم (٢) ، وكان لكلية أحمد باشا الدينية نصيب من عنايته (٢) ، وبفضله قامت الجمعية الخيرية وآزرها (٣) .

وهو فوق ذلك أديب له مطالعات فى الأدب العربى القديم ، اختصر كتاب وفيات الأعيان ولخص بعض تراجم منه (٤) .

---

(١) ٨٢ - ٨٤ أعلام ليبيا ، ١٤٥ وما بعدها لمحات أدبية عن ليبيا للأستاذ على مصطفى المصراتى .
(٢) ١٤٦ لمحات .
(٣) ١٤٧ المرجع .
(٤) ١٤٨ المرجع .

عبد الرحمن البوصيرى

١٢٥٨ هـ — ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)

علامة أديب ، محدث أصولى فقيه ، ولد فى غدامس ، وتلقى فيها العلم ، ثم رحل مع والده إلى طرابلس يستزيد فيها من المعرفة عام ١٢٧٨ هـ ، رحل إلى مصر وتونس والآستانة للتجارة وطلب العلم واقتناء الكتب ، وألف مؤلفات كثيرة فى البلاغة والأصول والحديث ، وتخرج على يديه كثير من العلماء والأدباء ، وفى عام ١٣٠٣ هـ عين فى الحكومة وتقلب فى وظائفها ، وكافح الاستعمار . وتدرج فى مناصب القضاء ، وكانت له مساع حميدة هو ومفتى طرابلس الشيخ عمر المسلاتى (١٩٢٣) المفتى فى تكوين معهد أحمد باشا ، توفى بطرابلس فى ١٣٥٤ : ١٩٣٥ (١) .

وقد تأثر بأستاذه الشيخ الطرابلسى الأزهرى محمد كامل بن مصطفى (١٣١٥ هـ) أستاذ العصر ، وصاحب الآراء الفقهية والمحاضرات القيمة ، وقد أخذ عنه كذلك أحمد الشارف وأحمد الفقيه حسن (١٣٠٤ هـ) الشاعران وغيرهما من جلة علماء العصر .

وكان أخوه الصحفى محمد البوصيرى مديرا للأوقاف ، وكان الشيخ عبد الرحمن يكتب فى جريدة الترقى التى كان يصدرها أخوه محمد ، ومن شعره فى التنديد بالاستعمار الإيطالى :

الأرض للرحمن يورثها لمن	قد شاء ، والله القدير الوارث
فلحكمة قهر العباد بحكمة	سفها يقاومه الغبى الرافث

---

(١) راجع كتاب أعلام ليبيا للزاوى ، ١٥٧ - ١٦٤ لمحات أدبية عن ليبيا لعلى مصطفى المصراتى .

ورثى الشاعر أحمد رفيق المهدوى صديقه الشيخ عبد الرحمن البوصيرى بقصيدة طويلة مثبتة فى ديوان رفيق ، وذلك عام ١٩٣٥ ، ويقول فيها :

عظيم فقدنا فيه للعلم (مالكا) ... وللحكم فاروق الزمان ويحياه (١)
يرى الجاه فى التقوى فيعلو تواضعا ... ويشرق بشرا وجهه حين تلقاه
عليه سـلام الله يوم وفاته ... ويوم يرى الفردوس ، فى البعث مأواه
ألا أيها الشيخ الجليل وقد سرت ... إلى الملأ الأعلى بك الروح أعلاه
سل الله للباقين خلفك رحمة ... تفرج ماهم فيه ، يرحمك الله (٢)

---

(١) مالك بن أنس (١٧٩ هـ)،والفاروق عمر بن الخطاب ، ويحيى بن أكثم (٢٤٣ هـ) . . أعلام مشهورة .

(٢) ٨٨ - ٩٠ ديوان رفيق .

محمد ناجى

١٨٧٦ — ١٩٥٦

أديب مشهور ، وهو عربى صميم ، ولد فى طرابلس ، وتلقى تعليمه بها ، وتقلب فى وظائف كثيرة ، وقام بنشاط سياسى كبير مع بعض مواطنيه من أمثال الشيخ محمد البوصيرى ، وعلى عياد ، وعثمان القيزانى ، واتخذوا من جريدة الترقى منتدى أدبيا لهم ، وكذلك مقرا لشئونهم السياسية . وبعد الغزو الإيطالى هاجر إلى تركيا ثم انتقل إلى حلب ، وبقى فى دمشق إلى أن توفى فى ٧ مايو ١٩٥٦ م .

العيساوى بوخنجر

١٢٩٥ — ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)

عربى صميم ، وشريف ينتمى لبيت النبوة ، ونابغة النسابين فى ليبيا ، وأحد العالمين بأيام العرب فيها ، يقص عليك من أخبار القبائل العربية فى ليبيا مالا يعرفه أحد ، وكان يعرف القبائل واحدة واحدة ، ومن تنتمى إليه ، ومن تستنجد به فى حروبها ، ومواطنها ومرابعها ، وأين تتجمع وأين تنتجع ، ووقائعها وأسبابها ونتائجها ، وماقيل فيها من شعر ؛ كما كان يحفظ الكثير من الأمثال الطرابلسية ، ويعرف مضربها وموردها . . وشارك فى الجهاد ، ثم هاجر إلى مصر عام ١٩٢٤ ، وعاد إلى وطنه عام ١٩٤٦ ، وظل فيه حتى مات ودفن بطرابلس (١) .

---

(١) ٢٤٢ - ٢٤٤ أعلام ليبيا .

محمد الطيب الأشهب

٢٢ من ديسمبر ١٩٠٩ — ١٩٦١

ولد فى النوفلية ببرقة وحفظ القرآن ، وهاجر إلى مصر ، وتوفى والده عام ١٩٢٤ ، فكافح ابنه فى سبيل الحياة كفاحا مريرا ، وكانت أسرته من أعرق الأسر المجاهدة ، ومن الإخوان السنوسيين المناضلين ، وقد خلد ذكر بعض شخصياتها فى كتابيه « برقة العربية » ، و « السنوسى الكبير » .

وفى عهد الاستقلال عمل ملحقا صحفيا فى السفارة الليبية بالقاهرة . . وبروح المؤرخ الأمين كتب تاريخ بلاده فى كتب مشهورة ، منها ـ عدا الكتابين السابقين ـ كتابه : « المهدى السنوسى » ، وكتابه الآخر : « إدريس السنوسى » .

وله شعر وطنى ذكره فى كتابه برقة العربية ، وذكر له محمد صادق عفيفى بعض النماذج الشعرية فى كتابه « الشعر والشعراء فى ليبيا » [١] ، وهو شاعر مقل . . ومن شعره : « إخلاص قلبى » ، و « صفارة الخطر [١] » ، ومن قصائده : ليلى البدوية [٢] .

---

(١) ص ١٧٨ - ١٧٩ أعلام ليبيا .
(٢) ٩٩ المرجع نفسه .

الفصل الثالث

نصوص من النثر الليبي الحديث

١ – نصيحة أبوية

النصيحة التاريخية التي وجهها الإدريس إلى شعبه بمناسبة عيد الاستقلال العاشر في يوم الأحـــد ١٦ رجب سنة ١٣٨١ هـ : الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٦١ م .

بسم الله الرحمن الرحيم : شعبي الليبي العزيز :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ أحمد الله تبارك وتعالى الذي أسعدني بالحظ لأن أتحدث إليكم في هذه المناسبة السعيدة ، ألا وهي (الذكرى العاشرة) لإعلان استقلال بلادنا العزيزة ، فإني أهنئكم من صميم قلبي وأهنيء نفسي الذي أنعم الله علي بالحياة حتى هنأتكم بالذكرى العاشرة للاستقلال . وقد لا يسعدني ـ بهذا ـ الحظ في المستقبل ، بأن أتحدث إليكم في مناسبة كهذه فأرد أن أسدي إليكم النصح ـ إنما الدين النصيحة ـ

وأوصيكم بتقوى الله ، في السر والعلانية ، وأن تشكروه على ما أولاكم من نعمة الاستقلال والحرية في بلادكم (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة).

والشكر ليس باللسان فقط ولكنه باتباع أوامره والانتهاء عما نهى عنه والتعاون على البر والتقوى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ، فإن كفر النعمة موجب لزوالها ، وقال تعالى (ومن يبدل نعمة الله من بعدما ما جاءته فإن الله شديد العقاب) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ،كحرمة يومكم

هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا فليبلغ الحاضر الغائب ورب مبلغ أوعى له ممن سمع » ، فنى اتباع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاة من سوء المغبة .

وأوصيكم بأن تحافظوا على هـذا الاستقلال الذى جاهدتم من أجله زمنا طويلا وقاسيتم من أجله عذابا مريراً .

كما أوصى أولى الأمر منكم بالعدل والإنصاف وكلكم راع ومسئول عن رعيته . كما أوصى عامتكم بالطاعة لأولى الأمر منكم ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) .

إذا كانت السنوات العشر الماضية سنوات كفاح فى سبيل العيش ، فإن السنوات المقبلة ستنعم بالرخاء بإذن الله تعالى بما من الله به علينا ، من خيرات أراضينا ، ولكن الكفاح من الآن لن يكون أقل صعوبة من كفاح السنين العشر الماضية ، فللرخاء مشاكل يتحتم علينا جميعا مواجهتها وحلها بما يعود على الشعب الليبى فى مجموعه بالرخاء والتقدم .

وللوصول إلى هذه الغاية يجب علينا التسلح بالأخلاق الكريمة والتمسك بأهداب الشريعة .

إن من النتائج السيئة التى يحملها الرخاء معه ميل الناس إلى حب الاثراء والانغماس فى الملذات والبذخ والإفراط والميل إلى الراحة والكسل ؛ فهذه كلها أسباب ضعف وانحلال ، أحذركم من مغبتها وأوصيكم باجتنابها ، وليكن رائدنا الإخلاص لديننا ووطننا وشعبنا . . وأسأل الله أن يعيد هذا العيد عليكم باليمن والخير والرفاهية والاستقرار .

– ٢ –

رسالة من البطل الشهيد عمر المختار إلى الأمير شكيب أرسلان :

كان لجهود الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩ – ١٩٤٦) فى الدفاع عن حقوق الليبيين والتنديد بالاضطهاد والمظالم التى وقعت عليهم وإعلام الناس بالبربرية التى اتصف بها الطليان عند احتلالهم وقمها الحسن وكانت محل رضاء تام من المرحوم الشهيد عمر المختار (١٨٦٢ – ١٩٣١) الذى كاتب الأمير يشكر له خدماته ويثنى على مواقفه المحمودة من قضية الحق والعدل .

وهذه رسالة من عمر المختار إلى الأمير شكيب :

إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أخينا فى الله وزميلنا فى سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله ، بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته. قد قرأنا مادبجه يراعكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته الأيدى الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار .. فإنى وعموم إخوانى المجاهدين .. نقدم لسامى مقامكم خالص الشكر ، وعظيم الممنونية . بما ذكرتموه عما اقترفته أيدى الإيطاليين هو قليل من كثير ،وقد اقتصدتم وأحتطتم كثيراً ولو يذكر للعالم كل مايقع من الإيطاليين لا توجد أذن تصغى لما يروى من استحالة وقوعه ، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح . وإننا فى الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون وعلى الله فى نصرنا متوكلون وقد قال الله تعالى : وكان حقا علينا نصر المؤمنين . وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . . . فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هـ .

٣ — دمعة حائرة

خواطر شتى جالت بنفسى وأنا أمتطى الطائرة برفقة سادة أجلاء ، هم رسل الجامعة الإسلامية إلى تلك الأرجاء الإسلامية شاءت الأقدار أن يستقر بعضها ببلاد ماوراء النهر بروسيا ، ونهر الطونة بيوغوسلافيا ..

ورجعت بى الذاكرة إلى قرون خلت وانقضت هى وأهلها ، فكأنها وكأنهم أحلام وكنت أحيانا تراودنى روح سارة يشعر بها الحبيب القادم على حبيبه ؛ فهو يقيس الزمن بالدقائق متعجلا هـذا اللقاء ، يستدرك به النقص فيتمه ويتناول السر فيعلنه ، ويلمس المقيد فيطلقه ، ويلقى الجمال فيظهره ، ويرفع الحياة درجة فى المعنى .

وأحيانا تهب بى عاصفة وجدانية نحو هذا الحبيب الذى ان أراه ولم أتمتع بنجواه . وإنما هى أحداث طال عليها الزمان وأمست فى زوايا النسيان ، وكأن أصحابها تضيق الأرض عن أنفاسهم وتتفزع الأملاك من هيبتهم ، وإليهم تشد الرحال إذ كانوا ملتقى الآمال ومشكاة الأمر إذا انبهم اليقين وضل بالناس الطريق[1] .

ومن كان يظن أن هذه الأحداث الصامتة كانت فى غابر الأعوام تنطق فتستنزل العصم وتسمع الصم ، وتحكم فتصيب المحز وتتطامن لها الرقاب . ومن كان يظن أن هؤلاء المقيدين فى التراب المنقطعين عن الجيران إلى يوم البعث لم يتركوا مكانا فى الأرض إلا طرقوه ولا إقليما بعيداً إلا شهدوه ، ولم يسمعوا عن رجل عنده أثارة من علم يمت إلى الدين إلا طاروا إليه . فأنضوا الراحلة وقطعوا السابلة وتساوى لديهم الليل والنهار والقفار والبحار . . ربما كان

---

(١) الهدى الإسلامى عدد رمضان وشوال ١٣٨٤ هـ مقال للأستاذ أبو بكر الفقهى .

أحدهم يعمل الشهر عقيب الشهر بعيدا عن بلده وولده فى سبيل العثور على كلمة يتلقفها أو حصيلة من علوم الدين يجمعها .

وهبطت الطائرة . . فتلقتنا أخوة فوق أخوة النسب يتخذ المسلمون فيها صلة بالحياة ، وتنتقل دنياهم بهذه الصلة إلى مرحلة تعلو بالمعانى النفسية فوق نوازع المادة ومشاكل الحياة،وتجد فى القلوب مواضع مهيأة للاحتراق تنفذ إليها الأشعة الروحانية وتتساقط منها المعانى . . . ووقفت أمام هذه الرفات البالية فتهيبت الموقف وكأن هذه الرفات التحمت وسرت فيها الروح؛ وأطل علينا أصحابها من جانب القبر مرحبين،أو كأننا رجعنا إلى عصور هؤلاء فشاهدنا جلال العلم وهيبة الورع ودخلنا هذا المقام الذى تزل فيه الأقدام وكان لها بحق : أمام البخارى ودقته والشاشى وعفته ، والخوارزمى وبلاغته ، وجار الله وكشافه ، والبيضاوى وفلسفته ، وابن سينا وإشارته .

وكأنما رجت بى الأرض رجا . . إذ أصاب هذا الموقف مواقع الشعور وأثار مكامن الخيال ، آخذا بوزن تاركا بوزن : لتأخذ النفس كما تشاء وتترك . .

يالله . . نحن وفد الجامعة الإسلامية بالديار الليبية قدمنا عليكم حاجين مزاركم داعين لكم بالرحمة كفاء ماقدمتم للأجيال الإسلامية من مبرات طوقتم به كل عنق ، وأرشدتم به كل ضال ، وقمتم به نحو الدين والوطن واللغة بكل بلاغ . . فلا تأسوا ولا تحزنوا حيث تقطعت بخلفكم الوشائج وقضت قسوة الأقدار أن اقتطعت هذه البلاد عن سالف تاريخها . فحكمها من لايدين بدعوة نبيكم التى أخلصتم لها وذهبتم فى سبيلها . . وصار أحفادكم على غير ماعهدتم . . مما لايحمد خبره ولا ينطبع أثره . حنانا ومعذرة إلى ربكم . . فقد صار الجيل غير الجيل الذى عرفتم من قبل ، والذى اندفع بأخلافه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء .

وماهى . . حتى اخضرت الدنيا وترامى ظلالها على حدود السند والهند ، وما وراء النهر وما خلفه ، وما بين ذلك .

حنانا ومعذرة إذ لم ندرك كما أدركتم صبابة من هذا السر الإلهى الذى ينبعث من النفس الخالصة ، فلا يبالى المسلم موتا ولا حياة ولا يبالى ضيقا ولا رحبا ولا على أى جنب يصرع مادام على مدرجة من دينه وهدى نبيه ...

ولم يكن موضع دهشتنا حين قرأنا تاريخكم فى هذه الحملات التى واجهتم بها الروم وطغيان التعصب وكيد البابوية وكلب القسطنطينية ، فلكم قدم صدق فى خدمة الدين ولغته . ولكم قدم صدق فى الدفاع عن حوزته والتضحية فى سبيل نصرته .

— ٤ —

وهذا مثل للدراسة الأدبية والنقدية ، كتب خالد زغبية الشاعر فى مجلة الرواد عدد أبريل ١٩٦٥ مقالا بعنوان « دراسات فى الشعر الليبى المعاصر » جاء فيه :

بعد الحرب العالمية الثانية حدث ازدهار فى ميدان الأدب بفنونه المختلفة ، كانت هذه الفترة مرحلة خصب وحيوية وحركة ، وكان النشاط الثقافى العام صدى لهذه الحيوية التى أخذت تنساب فى رفق ولين إلى قلب المجتمع الهامد وبثت فى وصاله الحياة والنشاط ، فكانت المحاضرات والندوات تعقد فى النوادى ، والمعارك الأدبية تدور على صفحات الجرائد والمجلات ، يقوم بها أدباء الطليعة فى شتى قضايا الأدب ، ولقد طرحت على صعيد الجدل كثير من المشكلات الاجتماعية التى كانت تشغل بال المواطن الليبى آنذاك مثل قضية (المرأة والمجتمع) و (الفن والحياة) و (الاستعمار) و (البطالة) و (حركة التجديد فى الشعر الليبى) ، وكانت هذه القضايا الأدبية انعكاسا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كانت تسود المجتمع الليبى

آنذاك . كان لهذه المرحلة روادها من الشعراء والأدباء والكتاب ، وكانت الفنون الأدبية المزدهرة على الترتيب هي : الشعر والقصة، والمقالة والبحث، غير أن فن الشعر كان ولا يزال أكثر ازدهاراً من غيره من الفنون ، ربما يرجع هذا إلى الوضع الراهن للمجتمع ، فقد يحدث أن يزدهر فن الشعر ، ويتقدم الفنون الأخرى في البلدان التي تعاني تأخرا اقتصاديا .. أما فن المقالة فقد كان ولا يزال مزدهراً، وذلك لأنه يتناول حياة الفرد اليومية واهتماماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . والحديث عن فن القصة كالحديث عن فن المقالة تقريبا ، ولو أنه يختلف في أنه فن صعب المراس ، لأنه يحتاج إلى موهبة تسندها ثقافة واسعة ، ومران متصل وتجربة دائمة ، غير أن فن القصة ، أخذ يترك مكانه لفن المقالة وربما كان ذلك لأن قصاصينا آثروا كتابة المقال لسهولته ، وقد يكون للظروف الاجتماعية أثر كبير في ذلك .. أما فن البحث فقد كان في المرتبة الأخيرة من هذه الفنون ، وكانت موضوعات البحث هي الفن والاقتصاد ، والاجتماع ، غير أن أكثر هذه الموضوعات لم تبحث بحثا علميا موضوعيا ، والنادر منها ما كان يبحث في حدود المقاييس العلمية والشروط الموضوعية للبحث العلمي الصحيح ، إن لهذه الفنون روادا من الدرجة الأولى ، وسأقدم نماذج لرواد هذه الفنون من أدبائنا المعاصرين أعتقد أنهم يمثلون خصائص مشتركة لتيار واحد من تيارات الأدب المتضاربة ، ألا وهو تيار المدرسة الواقعية الجديدة .

وقد برز في ميدانها في الشعر : حسن صالح ، والمطاطي والرقيعي ، وعلي صدقي عبد القادر ، وفي ميدان القصة طالب الرويعي ، والمقهور والقويري والدلنسي ومفتاح السيد وأحمد العنيزي ، وفي ميدان البحث والدراسة الأدبية التليسي والمصراتي ، وكان هؤلاء بارزون أيضا في فن المقالة بألوانها المختلفة . كانت فترة الاحتلال مرحلة مزدحمة بالقضايا السياسية الهامة . كقضيتي الوحدة والاستقلال وغيرهما ، وكان لهذه المرحلة شعراء

عبروا عنها بإخلاص ، غير أن طريقتهم التعبيرية ، كان يثقلها التقرير والوصف ، ويحد من فعاليتها ، الخطابة والافتعال ، والتقرير كان دائما طابعا للمدرسة الكلاسيكية .

ثم ظهر الشعراء: حسن صالح والمطاطى والرقيعى، وقد برزوا فى فترة زمنية واحدة وكانوا الرواد الأوائل لحركة التجديد فى الشعر الليبى ، وهم يعاصرون الشعراء من رواد المدرسة الواقعية الجديدة فى الشرق العربى ، فعلى هؤلاء تتلمذ شعراؤنا الشبان ؛ ثم مالبثوا أن استقلوا تدريجيا ، وأصبحوا روادا لشعرنا الليبي المعاصر . لقد عبروا واقعهم الاجتماعى الذى يتميز بطابع خاص ، إنه البيئة الليبية بملامحها وقسماتها ، لحسن صالح هو شاعر الضياع لقصيدته الشهيرة درب الضياع ، ومحمد المطاطى هو شاعر الأمل . . .

خاتمة الجزء الثانى

— ١ —

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، أحمده على فضله وتوفيقه ، وأصلى وأسلم على رسوله الكريم ، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . . وبعد :

فهذا هو الجزء الثانى من كتابنا « قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى إلى اليوم » ، وقد اشتمل الجزء الأول منه على دراسات عن الأدب العربى القديم فى ليبيا فى جميع عصوره منذ الفتح الإسلامى : عصر الولاة ، وعصر دولة الأغالبة ، والعصر الفاطمى ، والعصر الصنهاجى ، وعصر الموحدين ، وعصر الحفصيين ، والعصر العثمانى ، بفتراته الثلاث (العصر العثمانى الأول ، عصر الأسرة القره مانلية ، العصر العثمانى الثانى) .

أما هذا الجزء (الثانى) فقد اشتمل على دراسات عن الأدب الليبى الحديث ، الذى بدأ فى الظهور ببدء انتشار الدعوة السنوسية على يدى الإمام الأكبر محمد بن على السنوسى (١٢٠٢ هـ : ١٧٨٧ م - ١٢٧٧ هـ : ١٨٥٩ م) ؛ ومن ثم تحدثت عن حياة الإمام ودعوته ، وعن أعلام الأدباء والشعراء فى عهده ، من مثل : البرقى ، وابن بركة ، ومقرب أبو سيف ، وفالح الظاهرى ، ومحمد السنى ، وأحمد الطائفى ، وعلى عبد الحق القوصلى ؛ وعن أعلام مشهورة فى عهد الإمام وبعد عهده ، من مثل : محفوظ الورفلى ، ومصطفى المحجوب ، وأحمد بن إدريس الأشهب ، وأحمد المقرحى ، وأحمد بن بوسيف ، ومحمد الأزهرى ، وأحمد النائب الأنصارى ، وأحمد بن يوسف بن شتوان ، ومصطفى بن زكرى .

ثم تحدثت عن خلفاء الإمام فى الدعوة السنوسية ، فذكرت جهاد الإمام السيد محمد المهدى السنوسى (١٢٦٠ : ١٨٤٤ - ١٣٢٠ : ١٩٠٢ م) ، ونهضة الأدب والشعر فى عهده ، وتحدثت عن كفاح السيد أحمد الشريف السنوسى (١٢٩٢ هـ : ١٨٨٥ م - ١٣٥١ هـ : ١٩٣٣م) ابن السيد محمد الشريف (١٢٦٢ - ١٣١٣ هـ) ابن الإمام محمد بن على السنوسى .

وانتهت الخلافة بعد السيد أحمد الشريف إلى الإمام السيد محمد إدريس المهدى السنوسى (ولد فى اليوم العاشر من رجب ١٣٠٧ هـ ، الموافق ١٢ من مارس ١٨٩٠) ، ومن ثم تحدثت عن كفاحه فى سبيل الدعوة السنوسية ، ومن أجل وطنه وبلاده ليبيا .

وانتقلت إلى الحديث التفصيلى عن دعائم النهضة الأدبية الحديثة فى ليبيا ، وفى مقدمتها :

١ — كفاح الإمام محمد بن على السنوسى الإدريسى

٢ — كفاح الإدريس فى سبيل بلاده .

٣ — بناء الدولة الحديثة فى ليبيا .

٤ — الزوايا السنوسية .

٥ — مدرسة جغبوب وأثرها الروحى .

٦ — المعهد الأسمرى .

٧ — معهد أحمد باشا .

٨ — جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية .

٩ — الجامعة الليبية .

١٠ — أثر الصحف والمجلات .

وذكرت أعلام العلماء الليبيين فى العصر الحديث .

وتحدثت بعد ذلك عن كيف ومتى ظهر الأدب الحديث فى ليبيا ، ومقومات هذا الأدب الليبى الحديث ، والحركة الأدبية وتطورها فى هذا العصر ، والأدب الليبى المعاصر ، وأهم خصائص هذا الأدب وسماته .

وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث بتفصيل عن النثر الأدبى الحديث فى ليبيا ، فدرست فنونه المختلفة ، فن القصة وكتابها ؛ وفن المقالة ، وفن المسرحية والدراسات الأدبية ، والنقد ؛ ثم ترجمت لبعض الأدباء الليبيين المحدثين ، وذكرت نماذج وصورا للنثر الأدبى .

— ٢ —

ولقد سجلت الدعوة السنوسية فى كل عهودها (عهد الإمام الأكبر ، وعهد ابنه الإمام المهدى ، وعهد السيد أحمد الشريف بن السيد محمد الشريف ابن الإمام محمد بن على السنوسى ، وعهد حفيد الإمام الأكبر ، الإمام السيد محمد إدريس المهدى السنوسى) صلابة وقوة وطموحا وصمودا لامثيل له فى تاريخ الوطن العربى الحديث ، فجابهت الاستعمار الإنجليزى والفرنسى والإيطالى بقوة وصلابة لم تعهد فى أية أمة من الأمم .

وقد ظهرت الدعوة السنوسية فى ليبيا فى وقت كانت الحركة المهدية فى السودان بقيادة الإمام الأكبر المهدى (توفى فى الثانى والعشرين من يونيو ١٨٨٥ م) تقف بصلابة أمام الاستعمار الإنجليزى وتحاربه ، ولكنها هزمت أمامه فى السودان ، كما هزم أحمد عرابى باشا أمامه فى التل الكبير ، واحتل الإنجليز مصر والسودان . . وكان الاستعمار الفرنسى يعمل على ابتلاع الصحراء الكبرى فى إفريقيا ، وعلى ابتلاع دول شمال إفريقية (الجزائر ، وتونس ، ثم مراكش) .

وحين كان الفرنسيون يتسللون داخل المغرب العربى فى أواخر القرن التاسع عشر عن كل طريق ، وينجحون فى ذلك فشلوا فى بلوغ أهدافهم أمام الدعوة السنوسية، وفى مجلة « العالمين » الفرنسية عدد أول مارس ١٨٨٦ يتحدث فرنسى عن الإمام المهدى السنوسى ومايجب اتخاذه من الوسائل لمقاومته وتشتيت طائفته ، ويقول: « يلزم أن يكون على حدود مستعمراتنا رجال من أصحاب الدهاء والخبرة التامة بأحوال الطوائف الإسلامية الذين يعلمون دخائلها وعيوبها ، ليستعملوا كل خلل يجدونه لصالح وطننا »، وهو شعور واضح بفشل الاستعمار الفرنسى فى مقاومة الحركة السنوسية .

وكان الاستعمار الإيطالى يتطلع إلى ليبيا ويحاول ـ فى حذر وخوف من انجلترا وفرنسا ـ أن يستولى عليها ويضمها إلى بلاده ، وفعلا قام بهذه الجريمة الكبرى عام ١٩١١ م .

ومن ثم اصطدمت الحركة السنوسية بالاستعمارين الفرنسى والإنجليزى، ثم بالاستعمار الإيطالى ، ووقفت أمامهم بكل قوة وبسالة نحو قرن من الزمان (١٨٥٨ - ١٩٤٩) ، وضربت فى ذلك أروع الأمثال ، وكان جهاد ليبيا وانتصاراتها فى ثورتها الوطنية قدوة احتذتها الشعوب المناضلة من أجل استقلالها ، وصلابة القائد الإدريسى كانت شيئا عجيبا فريدا فى ذلك الزمان . يروى عمر الأشهب الصحفى الليبى المشهور أنه قابل المرحوم الزعيم شكرى القوتلى فى اكتوبر ١٩٥٨ بعد الوحدة بين سوريا ومصر ، وبدأ فى هذا اللقاء يروى ذكرياته ويقول : « ليس هناك من علم العرب الجهاد الشاق فى القرن العشرين ضد قوى الاستعمار أكثر من إدريس السنوسى فهو الذى فتح أمامنا جميعا صفحة القتال مع المستعمرين فى المشرق وفى المغرب » .

واستطرد السيد شكرى القوتلى يقول : « إننا فى بداية الحرب العالمية الثانية كنا نعتقد أننا مناضلون عندما نتجمع فى الميادين ونحمل اللافتات بأيدينا استعداداً للمظاهرات ضد الاحتلال الأجنبى من غير أية مقاومة

إيجابية حتى فاجأتنا الصحافة العالمية بأنباء القتال الذى قاده السنوسيون ضد ثانى دولة من دول الحلفاء الكبرى فى البحر المتوسط ، وكنا حينذاك قد أكبرنا فى قائدكم وشعبكم هذا الجهد الشاق والاستهانة بالحياة ورأينا فى نضالنا السلبى فى دمشق وبغداد وغيرهما ماجعلنا قد نخجل من قيام المظاهرات السلبية ، حتى استنفرنا العزم فى أنفسنا من نضال الشعب الليبى وشجاعة قائده المقدام الذى قاد الشرق العربى إلى أتون حرب تحررية ضــــد الاستعمار بشجاعة خارقة » .

وقال السيد شكرى القوتلى : « كنت أتمنى وأنا فى مطلع حركة نضالنا ضد فرنسا فى الشام أن تتاح لى فرصة ألتقى فيها إدريس السنوسى .. ولما لم يمض على وصوله إلى الإسكندرية من ليبيا سوى بضعة أشهر ، وأنا شديد الشوق لهذه المقابلة لكى أستمد من إيمانه وشجاعته العزم فى نضالنا » .

« وبعد عام من هذه الأمنية قرر الفرنسيون نفيى من الشام وذهبت فى باخرة تجارية إلى الإسكندرية ووجدتها فرصة لألتقى الإدريس ولأحقق هذه الأمنية ولكن ربان الباخرة تلقى أمرا سريعا بعدم نزولى وبالسفر فى الحال وعرفت أن هناك مؤامرة دبرت ضد فكرتى فواصلت السفر إلى تركيا » .

ويستطرد عمر الأشهب فيقول : « إياكم أن تنسوا التاريخ » إنها كلمة بليغة قالها فى وقت من الأوقات زعيم مصر محمد فريد ؛ وإن المتعمق فى تاريخ جهاد الإدريس وفى ذودة عن الحياض ودفاعه عن الشرف والدين والوطن بطريقة ثابتة طوال أربعين سنة لايسعه إلا أن يجد فيها مادة الاعتزاز بالمقومات الخلاقة التى تتلاشى أمامها جميع الاعتبارات الأخرى ، لأن هذه القيم فى حقيقتها تصور لنا أعظم مادة اعتبارية فى هذا التاريخ الحافل بالقيم والشرف ، إنها مادة العقيدة الدينية والأصالة المحمدية التى تسمو بمقوماتها فوق جميع الحضارات والمستويات والمبادىء الأخرى ، ولقد رجوت

فى مطلع هذه الكلمة المتواضعة أن نعنى بالتاريخ ونتعمق فى فصوله الكثيرة ونراجع حلقاته المفقودة بين وقت وآخر ، لأن فيه المادة الغنية التى تكفينا مؤونة التغلب على كل شىء ، (١) .

واستقلت ليبيا عام ١٩٥١ ، ثم نال السودان بعدها استقلاله عام ١٩٥٣ ، وطردت مصر الاحتلال الإنجليزى من بلادها عام ١٩٥٤ ، ونالت تونس استقلالها ، ثم مراكش ، وبعد قليل قامت الثورة الجزائرية وانتصرت على الاستعمار الفرنسى ونالت الجزائر حريتها واستقلالها .

— ٣ —

ولم تتخل الدعوة السنوسية عن مبادئها الروحية فى يوم من الأيام ، وتمسكت بتقاليدها الإسلامية ؛ وكان ذلك سر نجاحها وانتصارها ، وبين يدى الآن وثيقة مصورة بالزنكوغراف بتوقيع الإمام السيد محمد المهدى السنوسى ، ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إنه من عبد الله سبحانه ، محمد المهدى ، بن السيد محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى الإدريسى ، إلى الأجل الأبر الذكر ، أخينا عبد الرحمن بن محمد بن منيع ، سلمه الله .. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته .

وبعد : فإنه قد وصل إلينا كتابكم ، وفهمنا ما تضمنه من خطابكم ، فحمدنا الله عز وجل على سلامتكم وعافيتكم ، أرضاكم الله تعالى أتم رضوانه ، وغمركم بوابل إحسانه ، وإن سألتم عنا وعن كافة الإخوان الذين بهذا الطرف ؛ فالجميع ، ولله الحمد ، بخير وعافية ، ونعم ضافية ؛ والمرجو منه تعالى ألا تزالوا كذلك سالكين فى جميع أموركم أقوم المسالك ، إنه على ما يشاء قدير ،

(١) جريدة الزمان الليبية عدد ١٧ مايو ١٩٦٨

وبالإجابة جدير .. والوصية لنا ولكم التزود من التقوى ، والاعتصام بحبل الله الأقوى ؛ فبذلك تنالون الخير العظيم ، والربح الجسيم . والله يكون لنا ولكم وليا ونصيرا ؛ ونحن إن شاء الله داعون لكم بصالح الأحوال ، والتوفيق فى الأقوال ، والأفعال ؛ وعلى الله القبول ، إنه أكرم مسئول ، وخير مأمول ؛ وبلغوا منا السلام إلى جميع الإخوان والمحبين ؛ ومن بطرفنا يسلم عليكم ، من جميع الإخوان والمحبين ، والسلام ، ؛ وهذه الوثيقة مذيلة بتوقيع محمد المهدى فى ١٧ محرم ١٣١٨ هـ ، أى قبل وفاته بعامين ، وهذا التاريخ يوافق عام ١٩٠٠ م .

وهى تدل على روح الإمام المهدى العالية ، وعلى غيرته الإسلامية ، وعلى مراقبته تمام المراقبة لله عزوجل ، وعلى عنايته التامة بتلامذته ومريديه ، وعلى سياسته وحنكته البارعة ؛ وهى فوق ذلك مكتوبة بأسلوب نثرى بليغ سهل ، بعيد عن الفضول والمحسنات المتكلفة ، وعن الإخلال والقصور .

— ٤ —

والأمل فى قادة الفكر فى ليبيا أن يوجهوا أمتهم إلى التمسك بأصالة الشعب الليبي ومقومات تاريخه الإسلامى ، وفى مقدمتهم : الشيخ عبد الحميد الديبانى ، والشيخ منصور المحجوب ، ومصطفى بعيو وزير التربية والتعليم ، وعبد المولى دغمان مدير الجامعة الليبية ، والدكتور مختار مصطفى عميد كلية الآداب والتربية فى الجامعة الليبية ، والشيخ محمد جوان وكيل جامعة محمد بن على السنوسى الإسلامية ، والشيخ مصطفى التريكى عميد كلية أصول الدين ، والشيخ إبراهيم رفيدة عميد كلية اللغة العربية ؛ وسواهم من الأدباء والصحفيين والكتاب .

— ٥ —

ولقد زار الشاعر الكبير محمود غنيم طرابلس عام ١٩٥٤ فألهمته هذه القصيدة ، التى نشير إليها هنا لما فى مضامينها من صلة بما ذكرناه قال :

قالوا : الجمال هنا والمجد فاقتبس ... فقلت : كل المعالى فى طرابلس
لما نزلت بها باتت تذكرنى ... أمجاد مصر وبغداد وأندلس
ياأمة ورثت مجد العروبة لو ... قست النجوم بها فى المجد لم تقس
أشبال « ليبيا » كأنى إذ نزلت بكم ... نزلت بالقبلتين : الحجر والقدس
الثائرون على الطغيان من قدم ... من كل حر يبيع النفس بالبخس
المترعون كئوسا غير آثمة ... من كل نبع من الصحراء منبجس
فيكم من البدو أخلاق مبرأة ... من كل ماحوت الأمصار من دنس
إن لم تكن جنة المأوى دياركمو ... فما دياركمو منها سوى قبس
لاضيف أكرم من ضيف يجاوركم ... بالدار والأهل والأحباب مؤتنس
كأن عاهلكم فى عدله عمر ... كفاكم الله شر الحاكم الشرس
أبناء يعرب طال الليل فانتظروا ... شعاع فجر يجلى ظلمة الغلس
إن العروبة لاتفنى ولو فنيت ... شم الجبال فناء الأربع الدرس
محروسة بجنود الله ظافرة ... أماكفى بجنود الله من حرس ؟
بنى العروبة فروا من مضاجعكم ... فما نسيتم ولا المجد القديم نسى
أبناء يعرب هيا ابنوا المآثر فقد ... دوى الأذان ورنت صيحة الجرس
خطوا على العلم والأخلاق دولتكم ... وشيدوها من الشورى على أسس
وحصنوا أرضكم من كل مغتصب ... بكل مدرع فى الحرب مترس
بانت تنازعنا أوطاننا أمم ... مدت إلينا قديما كف ملتمس

جاست خلال مغانينا ولو لمحت | طيف الحديد وطيف النار لم تجس
طال السكوت على شعب يضام بلا | ذنب ، وحر رهين القيد محتبس
والله مانسيت مصر جراحهمو | وإن تكن فى جلاء الظلم فى عرس
أين الذين على حق الشعوب بكت | عيونهم ؟ هل أصيب القوم بالخرس
قل للألى بسلاح الذرة افتخروا
العرب سادوا الورى بالسيف والفرس
الفاتحون بجند من مبادئهم | والعاصفون بملك الروم والفرس
جابت مواخرهم ظهر العباب ولم | تترك خيولهم شبرا من اليبس
أنتم بنو العرب الأمجاد زانكمو | حسن المحيا وسحر المنطق السلس
ماست غصونكمو من تيهها بكمو | بين الرياض ولولا التيه لم تمس

— ٦ —

وبعد : فهذا هو الجزء الثانى من كتابنا « قصة الأدب فى ليبيا » ، الذى نختمه بحمد لله وشكره على فضله وتوفيقه ، لنستأنف الحديث فى الجزء الثالث عن الأدب الليبى الحديث ، ونخص منه بالذكر : الشعر الحديث وأعلامه .

وإلى الله أضرع بأن يمدنا بتوفيقه ، ويلهمنا الرشد ، ويهدينا سواء السبيل ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ؟

المؤلف

تم بحمد الله تعالى

الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث ، والله ولي التوفيق

فهرست الجزء الثانى

تم الفهرست

للمؤلف الكتب الآتية :

١ - أبو عثمان الجاحظ .
٢ - دراسات فى النقد الأدبى .
٣ - دراسات فى الأدب المقارن .
٤ - البناء الفنى للقصيدة العربية .
٥ - دراسات فى النقد العربى الحديث ومذاهبه .
٦ - دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه .
٧ - التصوف الإسلامى وظلاله فى الأدب العربى شعرا ونثرا جزآن
٨ - تفسير القرآن الحكيم - ١٣ جزءً
٩ - مأثورات نبوية .

تطلب من

١ - مكتبة القاهرة بالصنادقية بالأزهر - مصر - لصاحبها على يوسف سليمان .

٢ - دار الكتاب الليبى - لصاحبها حسن الخراز - ليبيا - بنى غازى - البركة - شارع الطيرة - ص . ب ٧٦٩